زاد المُرشِدين والمُسترشِدين

في رحلة الحُجّاج والمُعتمِرين

تأليف

أبو مسلم مقدم بن عبد الوهاب الأحمد

- غفر الله له وعفا عنه -

زَادُ
المُرْشِدِيْنَ والمُسْتَرْشِدِيْنَ
فِي
رِحْلَةِ الحُجَّاجِ وَالْمُعْتَمِرِيْنَ

تَأْليفُ
أَبي مُسْلِمٍ مجَدِي بْنِ عَبْدِ الوَهَّابِ الأَحْمَدِ
- غفر الله له، وعفا عنه -

الطبعة الأولى
١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهده الله فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[2].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا . يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[3].

أما بعد؛ فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هديُ محمد صلى الله عليه وسلم، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثة بدعة، وكلَّ بدعة ضلالة، وكلَّ ضلالة في النار.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٢) سورة النساء:١.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٠-٧١.

وبعد؛ فلقد مَنّ الله تعالى عليَّ بأداء مناسك الحج، وأداء مناسك العمرة عِدّة مرات.

وكنتُ في كل مرة أشعر بأن فوائد كثيرة لم أحصل عليها في رحلتي، وكنت أُعَلِّل ذلك بضعف المرشد القائم على القافلة المرتحلة إلى أداء المناسك، أو بعدم وجود كتابٍ علميٍّ مختصرٍ في هذا الأمر يستفاد منه.

وكنتُ كتبتُ رسالتين صغيرتين عن الحج والعمرة ونشرتُهما[1]، فلقيتا قَبُولاً عند الناس، ولله الحمد.

ثم على إثر هاتين الرسالتين ظنّ بعض الأخوة أن لي كتاباً عن بعض معالم مكة والمدينة....، فأخبرتهم بنفي ذلك، ولكنّ هذه الفكرة أعجبتني وقُلْتُ في نفسي لِمَ لا أقوم على إنجازها، وأزيد عليها، لتكون زاداً لكل مرشد ومسترشد أراد الذهاب إلى مكة والمدينة؛ فيحمله معه، ويَنهل مِمّا فيه؛ من فوائد وأحكام ومعلومات ونصائح وتنبيهات، سواء كان في طريق ذهابه، أو أثناء إقامته في مكة أو المدينة، أو في طريق عودته.

وبالفعل – ولله الحمد – قمتُ بجمع موضوعات هذا الكتاب والتَّأْلِيف بينها من كتب كثيرة، وعزوتُ ذلك إلى مواضعه، وأحياناً لم أعزُ لكوني جمعتُ الكلام المنقول من عِدّة مصادر وتصرفت فيه.

---

(١) ولقد أضفتها إلى هذا الكتاب؛ تحت عنوان: «البيان المختصر لأعمال الحج» و«البيان المختصر لأعمال العمرة».

وقد حوى هذا الكتاب بعضَ معالم مكة وبيت الله الحرام، ومعالم المدينة والمسجد النبوي، وأضفت إلى ذلك بعض معالم القدس والمسجد الأقصى، وحوى أيضاً شيئاً من سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وبعض غزواته، وتضمن أيضاً أحكام الحج والعمرة، وآداب السفر وأحكامه، وبعض النصائح والتنبيهات المهمة، كل هذا بصورة مختصرة سهلة، مرتبة ترتيباً حسناً، تَسُرّ القارئين –إن شاء الله تعالى-.

وأسميتُه: «زاد المرشدين والمسترشدين في رحلة الحجاج والمعتمرين».

واللهَ أرجو أن يجعل لهذا الكتاب القَبول في الأرض، فينفع به المسلمين جميعاً، إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأمين.

كتبه

أبو مسلم مجدي بن عبد الوهاب الأحمد

يوم الخميس ٢٣ – ٢ – ٢٠١٢ مـ

١ ربيع الثاني ١٤٣٣هـ

بلاد الشام – الأردن – الزرقاء

من آداب السفر

للسفر آداب عديدة منها ما يكون قبله، أو يكون أثناءهُ، أو يكون عند العودة منه، وسأكتفي بذكر بعضها مِما يُنتفع به في الرحلة.

اعلموا حفظكم الله تعالى أنه سُمِّي السفر سفراً ؛ لأنه يُسفر عن أخلاق المسافرين ؛ أي: يظهرها، فيظهر ما كان خافياً منها.

فلنحاول جاهدين أن نُظهر الأخلاق الحميدة في التعامل فيما بيننا، أثناء سفرنا وفي كل وقته.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: «أما الآداب المستحبة في السفر: أن يقوم الإنسان بكل ما ينبغي له أن يقوم به، من الكرم بالنفس والمال والجاه، وخدمة إخوانه، وتَحَمّل أذاهم، والكَفّ عن مساوئهم، والإحسان إليهم؛ لأن هذه الآداب عالية فاضلة، تُطلب من كل مؤمن في كل زمان ومكان»[1].

■ دعاء المسافر للمُقيم :

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أراد أن يسافر فليقل لمن يُخَلِّف: أَسْتَودِعُكُم اللهَ، الذي لَا تَضِيعُ وَدَائِعُه»[2].

---

(١) انظر «فتاوى ابن عثيمين» (٢١/ ١٦)، بتصرف يسير.

(٢) رواه أحمد (٢/ ٤٠٣)، وابن ماجه برقم (٢٨٢٥)، وصححه الألباني؛ انظر: «صحيح ابن ماجه» (٢/ ١٣٣).

دُعاء المقيم للمسافر:

قال سالم بن عبد الله بن عمر: كان ابن عمر رضي الله عنه إذا أراد سفراً، قال: ادْنُ مني أُوَدِّعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوَدِّعنا؛ فيقول: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينكَ، وأَمَانتكَ، وخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ»(1).

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لرجل أراد سفراً: «زَوَّدَكَ اللهُ التقوى، وغَفَرَ ذنبكَ، ويَسَّرَ لكَ الخير حيثما كنتَ»(2).

استحباب طلب الدعاء من المسافر:

عن صفوان بن عبد الله – وكانت الدرداء تحته – قال: قدمت الشام، فأتيتُ أبا الدرداء في منزله فلم أجده، ووجدتُ أمَّ الدرداء، فقالت: أتريد الحج العام؟، فقلتُ: نعم، قالت: فادعُ اللهَ لنا بخير؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك مُوكَّلٌ، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثل»(3).

---

(1) رواه الترمذي برقم (٣٤٤٣)؛ وصححه الألباني؛ انظر «الصحيحة» برقم (١٤).

(2) رواه الترمذي برقم (٣٤٤٤)، وصححه الألباني؛ انظر: «صحيح الجامع» برقم (٣٥٧٩).

(3) رواه مسلم برقم (٢٧٣٣)، وأمَّا ما جاء عن ابن عمر رضي الله عنه، أنه قال: إن عمر رضي الله عنه استأذن النبي صلى الله عليه وسلم في العمرة، فأذن له، فقال: «يا أخي أشركنا في صالح دعائك ولا تنسنا من دعائك» رواه أحمد (٢/ ٢٩)، وغيره؛ فهو ضعيف؛ ضعفه الألباني؛ انظر: «ضعيف الجامع» برقم (٦٣٧٧). ولكن معناه صحيح، وهو جواز طلب الدعاء بالخير من المسافر إلى الحج أو العمرة، وهو ما فعلته أم الدرداء رضي الله عنها.

استحباب قول دعاء الرُّكُوب، حين الجلوس في السيارة أو أي وسيلة نسافر بها:

«بِسْم الله، الحَمْدُ لله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾[1] الحَمْدُ لله، الحَمْدُ لله، الحَمْدُ لله، اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، اللهُ أكْبَرُ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي، فَاغْفِرْ لي، فإنَّهُ لاَ يَغْفِر الذُّنُوب إلاّ أَنْتَ»[2].

استحباب قول دعاء السفر:

«الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ . وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴾ اللهم إنا نسألك في سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى، اللهم هَوِّنْ علينا سفرنا هذا، واطْوِ عَنّا بُعْدَه، اللهم أنت الصاحبُ في السفر، والخليفة في الأهل، اللهم إني أعوذُ بك من وَعْثَاءِ السفر، وكآبة المنظر، وسُوْءِ المنقلب في المال والأهل»، وإذا رجع قالَهُنَّ، وزادَ فيهن: «آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون»[3].

---

(١) سورة الزخرف: ١٣، وقوله: «مقرنين»؛ أي: مطيقين.

(٢) رواه أبو داود برقم (٢٦٠٢)، والترمذي برقم (٣٤٤٦)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الترمذي» (٣/ ١٥٦).

(٣) رواه مسلم برقم (١٣٤٢)، وقوله:«وعثاء» أي: مشقة، وقوله: «كآبة المنظر» أي: سوء الهيئة؛ والمراد: كل منظر يعقب الكآبة، وقوله: «سوء المنقلب» أي: يرجع في سفره بأمر يكتئب منه.

■ يُشرع للجماعة أن يُؤَمّروا أحدهم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان ثلاثة في سفر، فليُؤَمِّروا أحدهم»[(١)].

تنبيه: يجب على الجماعة أن يطيعوا الأمير، إلا في معصية الله تعالى، قال صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، إنما الطاعة في المعروف»[(٢)].

■ استحباب طلب الرِّفْقَة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو يعلم الناس ما في الوحدة ما أعلم، ما سار راكب بليل وحده»[(٣)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الراكب شيطان، والراكبان شيطانان، والثلاثة ركب»[(٤)].

تنبيه: عليكم بمرافقة الصالحين، فإنهم خير جليس وخير صاحب؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مثل الجليس الصالح والسوء؛ كحامل المسك ونافخ الكير؛ فحامل المسك؛ إما أن يُحْذِيَك، وإما أن تَبْتَاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد ريحاً خبيثة»[(٥)].

---

(١) رواه أبو داود برقم (٢٦٠٩)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (١٣٢٢).

(٢) رواه البخاري برقم (٧٢٥٧)، ومسلم برقم (١٨٤٠).

(٣) رواه البخاري برقم (٢٩٩٨)، وقوله: «ما أعلم» أي: لو يعلم الناس الذي أعلم ما في الوحدة من الآفات.

(٤) رواه أبو داود برقم (٢٦٠٧)، والترمذي برقم (١٦٧٤)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٦٢).

(٥) رواه البخاري برقم (٥٥٣٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٨)، وقوله: «يحذيك» أي: يعطيك.

■ استحباب التكبير عند الصعود، والتسبيح عند النزول:

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: «كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا صعدنا كبرنا، وإذا هبطنا سبحنا»[1].

■ استحباب الاجتماع عند النزول للرَّاحة، وعدم التَّفَرّق:

عن أبي ثعلبة الخُشني رضي الله عنه، قال: كان الناس إذا نزلوا منزلاً تفرقوا في الشِّعَاب والأودية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن تفرقكم في هذه الشِّعَاب والأودية، إنما ذلكم من الشيطان»؛ فلم ينزلوا بعد ذلك منزلاً إلا انْضَم بعضهم إلى بعض، حتى يقال: لو بُسِط عليهم ثَوْبٌ لَعَمَّهم[2].

■ ماذا يقول إذا نزل منزلاً؟.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»[3].

■ الدعاء في السفر مُستجاب :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن؛ دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده»[4].

* * *

---

(١) رواه البخاري برقم (٢٩٩٣)، وأحمد (٣/ ٣٣٣) واللفظ له.

(٢) رواه أبوداود برقم(٢٦٢٨)، وصححه الألباني، انظر «مشكاة المصابيح» برقم(٣٩١٤).

(٣) رواه مسلم برقم (٢٧٠٨).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٤٣٤)،وأبو داود برقم (١٥٣٦)، والترمذي برقم (١٩٠٦)، وحسنه الألباني انظر «الصحيحة» برقم (٥٩٦).

بعض النصائح المهمة

■ الإِيْثَار:

ومعناه: تقديم حظ الغير على حظ النفس.

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أَحِبّ للناس ما تُحب لنفسك»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم، حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه (من الخير)»[3].

■ الصبر:

ومعناه: حبس النفس.

قال العلماء: الصبر ثلاثة أنواع:

١ – الصبر على ترك المحرمات والآثام.

٢ – الصبر على المصائب والكربات.

---

(١) سورة الحشر: ٩.

(٢) رواه أحمد (٤/ ٧٠)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٧٢).

(٣) رواه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥)، وانظر «الصحيحة» للألباني، برقم (٧٣)، حول زيادة: «من الخير».

٣ – الصبر على فعل الطاعات.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من يَتَصَبّر يُصَبِّره الله، وما أُعْطِيَ أحدٌ خيراً وأوسعَ من الصبر»[(٢)].

■ التَّعَاون:

هو إغاثة أحدنا للآخر.

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله تعالى: «كل خصلة من خصال الخير المأمور بفعلها، والامتناع عن كل خصلة من خصال الشر المأمور بتركها؛ فإن العبد مأمور بفعلها بنفسه، وبمعاونة غيره عليها من إخوانه المسلمين»[(٣)].

قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾[(٤)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يَشُدُّ بعضُه بعضاً»[(٥)].

---

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) رواه البخاري برقم (١٤٦٩)، ومسلم برقم (١٠٥٣).

(٣) انظر «تفسير السعدي» سورة المائدة، آية (٢).

(٤) سورة المائدة: ٣.

(٥) رواه البخاري برقم (٤٨١)، ومسلم برقم (٢٥٨٥).

■ حُسن التعامل[1]:

إن حُسن التعامل مع كل الناس على اختلاف أجناسهم وألوانهم وبلدانهم، يجعل القلوب تتآلف، والأبدان تجتمع على المحبة والاحترام والتقدير.

قال الله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تَحْقِرَنَّ من المعروف شيئاً، ولو أن تَلْقى أخاك بِوَجْهٍ طَلْقٍ»[3].

وقال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[4].

وقال بعض العلماء: «الناس رجلان؛ فرجل محسن؛ فخذ ما عفا لك من إحسانه، ولا تكلفه فوق طاقته، ولا ما يُحْرِجه، وإما مسيء؛ فَمُرْه بالمعروف ؛ فإن تمادى على ضلاله، واستعصى عليك، واستمر في جهله، فأعرض عنه، فلعل ذلك أن يَرُدَّ كيده»[5].

---

(١) يشتهر بين الناس قول: «الدين المعاملة» على أنه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، والصواب أنه ليس حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ قال أهل العلم في الحُكْم عليه: «ليس له أصل»، ولكن الناظر في القرآن والسنة، يعلم أن حسن المعاملة من الدين.

(٢) سورة البقرة: ٨٣.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٦٢٦).

(٤) سورة الأعراف:١٩٩.

(٥) انظر «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٦٨).

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ . وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صِلْ من قطعك، وأَعْطِ من حرمك، واعْفُ عمَّن ظلمك» (٢).

■ الكلمة الطيبة:

قال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ (٣).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الكلمة الطيبة صدقة» (٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: «اتقوا النار ولو بشِقّ تمرة ؛ فإن لم تجد، فبكلمة طيبة» (٥).

■ حُسن الاستماع:

قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ . ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ (٦).

---

(١) سورة فصلت: ٣٤ – ٣٥.

(٢) رواه أحمد (٤/ ١٥٨)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٨٩١).

(٣) سورة إبراهيم: ٢٤.

(٤) رواه أحمد (٢/ ٣١٦ و ٣٧٤)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (١٠٢٥).

(٥) رواه البخاري برقم (١٤١٣)، ومسلم برقم (١٠١٦).

(٦) سورة الزمر: ١٧ – ١٨.

وقال الحسن بن علي لابنه – رضي الله عنهم جميعاً –: «يا بُني إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتَعَلَّم حسن الاستماع كما تتعلَّم حسن الصمت، ولا تقطع على أحد حديثاً – وإن طال – حتى يُمْسِك»[1].

وقال ابن المُقفع رحمه الله تعالى: «تَعَلَّم حُسن الاستماع كما تتعلم حُسن الكلام، ومن حسن الاستماع إمهال المتكلم حتى ينقضي حديثه، وقلة التَّلَفُّتِ إلى الجواب، والإقبال بالوجه، والنظر إلى المتكلم، والوعي لما يقول»[2].

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله: «إن الرجل ليحدثني بالحديث، فأنصت له كأني لم أسمعه، وقد سمعته قبل أن يُوْلَد»[3].

■ النصيحة:

قال أبو عمر ابن الصلاح رحمه الله تعالى: «النصيحة كلمة جامعة، تتضمن قيام الناصح للمنصوح له بوجوه الخير إرادةً وعملاً»[4].

عن تميم الدَّاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة»، قالنا: لمن؟، قال صلى الله عليه وسلم: «لله، ولكتابه، ولرسوله، وللأئمة المسلمين، وعامتهم»[5].

---

(١) انظر «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (١/ ٢٥٦)، وقوله: «حتى يُمسك» أي: يسكت.

(٢) انظر «الأدب الكبير» لابن المقفع (ص ١٦٠).

(٣) انظر «ميزان الاعتدال» للذهبي (٣/ ٧٠).

(٤) انظر «صيانة صحيح مسلم» لابن الصلاح (ص ٢٢٣).

(٥) رواه مسلم برقم (٥٥).

وقال ابن رجب رحمه الله: «فمعنى النصيحة لله سبحانه؛ صحة الاعتقاد في وحدانيته، وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتابه ؛ الإيمان به، والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله ؛ التصديق بنبوته، وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لعامة المسلمين؛ إرشادهم إلى مصالحهم»[1] .

وما أجمل ما قاله الشافعي رحمه الله تعالى في أدب عظيم من آداب النصيحة:

تَعَمَّدْنِي بِنُصْحِكَ فِي انْفِرَادِي ... وَجَنِّبْنِي النَّصِيْحَةَ فِي الجَمَاعَهْ
فَإِنَّ النُّصْحَ بَيْنَ النَّاسِ نَوْعٌ ... مِنَ التَّوْبِيْخِ لاَ أَرْضى اسْتِمَاعَهْ
وَإِنْ خَالَفْتَنِي وَعَصَيْتَ قَوْلِي ... فَلاَ تَجْزَعْ إِذَا لَمْ تُعْطَ طَاعَهْ

■ المُجادلة بالتي هي أحسن:

تنقسم المُجادلة إلى قسمين:

١ – مجادلة مذمومة: وهي التي يُرَاد بها الانتصار للنفس والقول دون تحرٍّ للحق.

٢ – مجادلة محمودة: وهي المجادلة بالتي هي أحسن؛ يعني: التي الغَرَض منها الوصل إلى الحق، وإرشاد الضال، وتبيين حجة الله ـ عز وجل ـ؟[2].

قال الله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا زَعِيم بِبَيْتٍ في رَبَض الجنة لمن ترك

---

(١) انظر «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص ٨٨).

(٢) انظر «شرح العقيدة الطحاوية» للشيخ صالح آل الشيخ (١/ ٣٣٦).

(٣) سورة النحل: ١٢٥.

المِرَاءَ وإنْ كان مُحِقّاً، وَبِبَيْتٍ في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن كان مازِحاً، وَبِبَيْتٍ في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»[١].

■ التوبة:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةٗ نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيُدۡخِلَكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾[٢].

وقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[٣].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب في اليوم مئة مرة»[٤].

وقال العلماء: «التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى، لا تتعلق بحق آدمي؛ فلها ثلاثة شروط:

أحدهما: أن يُقْلِعَ عن المعصية.

والثاني: أن يَنْدَمَ على فعلها.

والثالث: أن يَعْزِمَ أن لا يعود إليها أبداً.

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٨٠٠)، وحسنه الألباني، وانظر «الصحيحة» برقم (٢٧٣)؛ وقوله: «زعيم» أي: ضامن وكفيل، وقوله: «ربض» أي: أسفل، وقوله: «المِرَاء» أي: الجدال؛ والمراد به هنا: الجدال المذموم.

(٢) سورة التحريم: ٨.

(٣) سورة النور: ٣١.

(٤) رواه مسلم برقم (٢٧٠٢) (٤٢).

فإنْ فُقِد أحدُ الثلاثة لم تصح توبته.

وإن كانت المعصية تتعلق بآدَمِيٍّ؛ فشروطها أربعة:

هذه الثلاثة، وأن يَبْرَأ من حق صاحبها ؛ فإن كانت مالاً أو نحوه ردَّه إليه، وإن كانت حَدَّ قَذْفٍ ونحوه مَكَّنَهُ منه، أو طلب عفوه، وإن كانت غِيبة اسْتَحَلَّه منها[1].

ويجب عليه أن يتوب من جميع الذنوب، فإن تاب من بعضها، صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب، وبقي عليه الباقي»[2].

■ أداء الحقوق التي علينا:

معلوم أن هذا الموضوع أبوابه كثيرة وواسعة، ولكن حاولت جاهداً أن أُوجز وأختصر.

أولاً: إن أعظم هذه الحقوق هو حق الله تعالى:

فإن حق الله تعالى على الخلق أهم ما يسعى إلى تحصيله، وإن أدَّى المسلم حق الله تعالى، أدَّى ولا بد حقوق الخلق - بإذن الله تعالى -.

وحق الله تعالى قد بينه نبينا صلى الله عليه وسلم في قوله لمعاذ بن جبل رضي

---

(١) إذا لم يترتب على ذلك مفسدة، وإلا فعليه بالدعاء له.

(٢) انظر «رياض الصالحين» للنووي (٤٦ – ٤٧).

ولقد نظمتُ هذه الشروط الأربعة؛ فقلتُ:

ثَلاَثَــةٌ شُرُوْطُ تَوْبَــةٍ فَعُــوا ... هِـيْ يَنْـدَمُ وَلاَ يَعُـوْدُ يُقْلِـعُ

أَمَّا إِذَا كَانَتْ بِحَـقِّ الآدَمِـي ... فَزَدْ عَلَيْهَا البُرْءَ مِنْـهُ فَـافْهَمِ

الله عنه: «يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله؟ »، قال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال صلى الله عليه وسلم: «حق الله على العباد؛ أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً»[1].

فحق الله تعالى هو: أن نعبده، ولا نشرك به شيئاً.

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه، من الأعمال الظاهرة والباطنة.

فكل عمل ظاهر أو باطن يُحرص على تحقيق العبادة فيه الله تعالى.

والعبادة لا تتحقق مع الشرك، فالشرك محبط للأعمال، قال الله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[2]، وهو ظلم عظيم لا يغفره الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾[3].

وتتحقق العبادة بالإخلاص لله تعالى ومراقبته، فإن الإخلاص والمراقبة عاملان أساسيان لدفع الشرك، وبدونهما تصبح العبادة هشة معرضة لأي شرك – صغيراً أو كبيراً –.

وأعظم ما يتوصل به المسلم إلى اكتساب الإخلاص والمراقبة؛ العلم بالله تعالى، واتباع رسوله.

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٦٧)، ومسلم برقم (٣٠).

(٢) سورة الزمر:٦٥.

(٣) سورة النساء: ٤٨.

واتباع النبي صلى الله عليه وسلم هو حق من حقوقه صلى الله عليه وسلم على الناس:

ويتضمن هذا الاتباع؛ أن نؤمن به، ونصدقه بكل ما أَخبر به عن رَبِّهِ، ونطيعه في كل ما أمر، ونجتنب كل ما نهى عنه، ونتحاكم إليه، ونرضى بحكمه، ويكون ذلك ناتجاً عن محبة عظيمة له صلى الله عليه وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾[4].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم، حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين»[5].

---

(١) سورة آل عمران: ٣١.

(٢) سورة النساء: ٥٩.

(٣) سورة النساء:٦٥.

(٤) سورة الفتح: ٩.

(٥) رواه البخاري برقم (١٥)، ومسلم برقم (٤٤٩).

وبهذا كله يكون المسلم قادراً على أداء حقوق الخلق.

وأعظم هذه الحقوق؛ حق الوالدين:

فقد ذكره الله تعالى كثيراً بعد أمره بالعبادة، وعدم الإشراك به.

فقال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾[1].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف، ثم رغم أنف، ثم رغم أنف[2]، من أدرك أبويه عند الكبر، أحدهما أو كلاهما، فلم يدخل الجنة»[3].

وعلى الوالدين حق للولد:

بأن يؤدبوه ويعلموه، ويقوموا على شؤونه حتى يكون قادراً على القيام على نفسه.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾[4].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع ومسؤول عن رعيته....، والرجل راع ومسؤول عن رعيته....»[5].

وقال صلى الله عليه وسلم: «كفى بالمرء إثماً، أن يضيع من يقوت»[6].

---

(١) سورة النساء:٣٦.

(٢) كناية عن الذل؛ كأنه لصق بالرغام؛ وهو التراب.

(٣) رواه مسلم برقم (٢٥٥١).

(٤) سورة التحريم:٦.

(٥) رواه البخاري برقم (٢٥٥٤)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٦) رواه أبو داود برقم (١٦٩٢)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٢٧٣).

ثم من أعظم الحقوق حق الزوج على زوجته:

فإن النبي صلى الله عليه وسلم ذكره وَعَظَّمه في عدة أحاديث، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «لو تعلم المرأة حق الزوج؛ لم تقعد ما حضر غداؤه وعشاؤه، حتى يفرغ منه»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «لا يصلح لبشر أن يسجد لبشر، ولو صلح لبشر أن يسجد لبشر، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها، من عظم حقه عليها، والذي نفس محمد بيده، لو كان من قدمه إلى مفرق رأسه قرحة تَنْبَجِس، ثم استقبلته، فلحسته، ما أَدَّت حقه»[2].

ويُنْقَل عن إحدى النساء العظيمات، وهي أُمُّنا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قولها: يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن، تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخَدِّ وجهها.

ومن الحقوق العظيمة أيضاً، حق الزوجة على زوجها:

قال الله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾[3].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا إن على نسائكم حقاً، ولنسائكم عليكم حقاً»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٦٠)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٥٢٥٩).

(٢) رواه أحمد (٣/ ١٥٨)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٧٧٢٥).

(٣) سورة النساء:١٨.

(٤) رواه الترمذي برقم (١١٦٣)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٧٨٨٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلقاً، وخياركم خياركم لنسائهم»[1].

ومن الحقوق العظيمة أيضاً؛ حق الجار على جاره:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما زال جبريل يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «من كان يؤمن بالله وباليوم الآخر، فلا يؤذ جاره – وفي رواية: فليحسن إلى جاره –»[3].

ومن الحقوق العظيمة؛ حق الحاكم المسلم على رعيته:

قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «طاعة الإمام حق على المرء المسلم، ما لم يأمر بمعصية الله تعالى، فإذا أمر بمعصية؛ فلا طاعة له»[5].

وأيضاً: هم – أي: الرعية – لهم على الحاكم حق عظيم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا كلكم راعٍ، وكلكم مسؤول عن

(١) رواه الترمذي برقم (١٦٢)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٢٨٤).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٠١٤)، ومسلم برقم (٢٦٢٤).

(٣) رواه البخاري برقم (٦٤٧٥)، ومسلم برقم (٤٧).

(٤) سورة النساء: ٥٩.

(٥) انظر «السلسلة الصحيحة» للألباني برقم (٧٥٢).

رعيته، فالإمام راعٍ، وهو مسؤول عن رعيته »[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يسترعيه الله رعية، فلم يُحطها بنصحه، لم يجد رائحة الجنة»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما من وَالٍ يَلِي رعية من المسلمين، فيموت وهو غاش لهم؛ إلا حَرَّم اللهُ عليه الجنة»[3].

وقد جعل الشارع الحكيم حقوقاً بين جميع الخلق – صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم – ؛ لكي يكونوا في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو، تَدَاعى له سائر الجسد بالسهر والحمى[4].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[5].

وقال نبينا صلى الله عليه وسلم: «حق المسلم على المسلم سِتٌّ: إذا لقيته؛ فَسَلِّم عليه، وإذا دعاك؛ فَأَجِبْه، وإذا استنصحك؛ فانصح له، وإذا عطس، فحمد الله؛ فَشَمِّتْهُ، وإذا مرض؛ فَعُدْهُ، وإذا مات، فاتْبَعْه»[6].

بل قال صلى الله عليه وسلم ما يجمع كل حقوق الخلق: «لا يؤمن أحدكم،

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٩٣)، ومسلم برقم (١٨٢٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٧١٥٠)، ومسلم برقم (١٤٢).

(٣) رواه البخاري برقم (٧١٥١)، ومسلم برقم (١٤٢).

(٤) رواه البخاري برقم (٦٠١١)، ومسلم برقم (٢٥٨٦).

(٥) سورة الحجرات: ١٠.

(٦) رواه البخاري برقم (١٢٤٠)، ومسلم برقم (٢١٦٢)، واللفظ له.

حتى يحب لأخيه، ما يحب لنفسه من الخير»[1].

فكل أمر حسن تحبه، أو تحب أن تُعَامَل به؛ فأحبه لأخيك المسلم، أو عامله به....

ومن الحقوق: حق المال على صاحبه:

فإن على صاحب المال أن يخرج زكاة ماله، وإلا عُذّب به يوم القيامة.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن آتاه الله مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته، مُثِّلَ يوم القيامة شُجاعاً أَقْرَع له زَبِيْبَتَان يُطَوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلِهْزِمَتَيْهِ، ثم يقول: أنا مَالُك، أنا كنزُك»[2].

واعلم أن لكل شيء حقاً، ولا بد من إعطائه له:

قال سلمان الفارسي رضي الله عنه لأبي الدرداء رضي الله عنه: «إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً؛ فأعط كل ذي حق حقه»، ولما ذُكِر للنبي صلى الله عليه وسلم قوله هذا؛ قال صلى الله عليه وسلم: «صدق سلمان»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٣)، ومسلم برقم (٤٥).

(٢) رواه البخاري برقم (٦٩٥٧)، ومسلم برقم (٩٨٨)، قوله: «شجاعاً» أي: حية، وقوله: «أقرع» أي: ليس له شعر لطول عمره وكثرة سُمّه، وقوله: «زبيبتان» أي: نقطتان سوداوان فوق عينيه، وقوله: «بلهزمتيه» أي: بشدقيه.

(٣) رواه البخاري برقم (١٩٦٨).

■ كلمات إلى كل مدخن:

لقد تَلَبَّس كثيرٌ من المسلمين بشرب الدخان، ورأيتُ كثيراً منهم يدخن وهو مُحْرِم، ولا يبالي أنه في طاعة لله عز وجل، وهذا مِمَّا يُنْقِصُ أجره، في هذه الطاعة التي أراد أداءها، بل قد يُضَيِّع عمله، فيعود بِخُفَّي حُنَين، ولا يعود كما ولدته أُمّه نقياً طاهراً.

فهذه كلمات أرجو أن تكون مُعِينة لمن تلبس بهذه المعصية على تركها، والله أرجو أن يُوَفِّق الجميع إلى كل خير.

● **أوله وآخره:** كانت السيجارة في يد الإنسان يَلْهُو بِهَا لَهْواً، ولكنه ما لبث أن اعتادها، فأصبح هو في يد السيجارة، واسْتُعْبِدَ لها، وأقرَّ على ذُلِّها، كأنما كانت هذه القطعة البيضاء بعضها إلى بعض حبلاً طويلاً أُلْقِي في عنقه وسُحب به كالدَّبة..[1]

● **تعجبت...:** تعجبت من الذي يحرص على نظافة ظاهِرِهِ، فتراه يغتسل كل يوم، ويلبس الملابس النظيفة الجميلة، ويحرص كل الحرص على أن لا تَتَّسَخ، وهو في نفس الوقت يحشو باطنه بهذا الدخان الخبيث المُنْتِن!!.

● **حكم الدخان:** الدخان محرم لكونه خبيثاً، ومشتملاً على أضرار كثيرة، والله سبحانه وتعالى إنما أباح لعباده الطيبات من المطاعم والمشارب وغيرها، وحرم عليهم الخبائث، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ ۖ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾[2].

---

(١) انظر «الدخينة في نظر طبيب» (ص١١).

(٢) سورة المائدة: ٤.

وقال الله سبحانه في وصف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في سورة الأعراف: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ﴾[1].

والدخان بأنواعه كلها ليس من الطيبات، بل هو من الخبائث.

ومن الأدلة على تحريمه أيضاً: قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾[2].

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ومن شرب سُـمّاً، فَقَتَـل نَفْسَه، فهـو يَتَحَسَّاه في نار جهنم، خالداً مخلداً فيها أبداً....»[3].

والدخان معروف بأنه سُمّ قاتل – ويسمى: القاتل البطيء –، لما يحتويه من مواد قاتلة، لو أُعْطِيت للبهائم لرفضت أن تأكله.

وقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا . إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾[4].

وشراء الدخان هو قِمّة التبذير.

وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا ضرر ولا ضرار»[5].

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) رواه مسلم برقم (١٠٩).

(٤) سورة الإسراء: ٢٦ – ٢٧.

(٥) رواه ابن ماجة برقم (٢٣٤١)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٢٥٠).

والدخان يضر بصاحبه ويضر من حوله من الناس.

والأدلة على تحريمه كثيرة، وللاختصار اقتصرت على ما ذكرت.

ومن لم يقتنع بحرمة الدخان؛ فنقول له: إذا لم يكن الدخان حراماً، فلماذا لا تشتريه لأولادك ولأهلك؟، ولماذا لا تشربه في المسجد؟، ولماذا لا تُسَمِّي اللهَ قبل شربه، وتحمد الله بعد الانتهاء من شربه؟، كما تفعل في نعم الله من الطيبات، ولماذا تغضب عندما ترى أبناءك أو إخوانك يدخنون؟!.

• **هل تعلم**: أن النيكوتين هو العنصر الفعال في التبغ، وهو أفتك السموم المعروفة لدى العالم، وكفى به أنه السُّمّ الذي يعتمد عليه البستانيون في قتل الحشرات والأوبئة التي تصيب غِرَاسهم، وهو قتَّال لدرجة توجب استعماله مخففاً بإضافة بعض قطرات منه إلى خمس مئة غرام من الماء[1].

• **أضرار الدخان**: قال الدكتور صلاح الدين عبد رب النبي – طبيب الأمراض العصبية في مصر –: إذا أصبح الإنسان أسير عادة الدخان، فإنها تؤثر تأثيراً سيئاً في صحته من غير شك، وبخاصة في القلب، إذ تضطرب دقاته، والدورة الدموية، إذ يشعر الإنسان بالدوران من آن لآخر، نتيجة تقلص شرايين الدماغ، وقد يتعرض مع تقدم السن لضغط الدم المرتفع، والذبحة الصدرية، كما أن جهازه الهضمي والتنفسي يتأثران بالتدخين، فيفقد المدخن شهية الأكل، وينتابه السعال المعروف بسعال التدخين، وإذا تأثر الجهاز العصبي يشعر المدخن

---

(١) انظر «الدخينة في نظر طبيب» (ص٣٠).

بتنميل وخدرة الأطراف، وبالآلام في الأعصاب.

ومن الأمراض التي يسببها الدخان أيضاً:

١ – سرطان الفم.	٢ – سرطان الرئة.
٣ – سرطان المثانة.	٤ – سرطان الكُلَى.
٥ – سرطان البنكرياس.	٦ – جلطات القلب.
٧ – جلطات الأوعية الدموية.	٨ – ضيق الشرايين.
٩ – قرحة المعدة والإثني عشر.	١٠ – ضعف القدرة الجنسية.

- **الأمور المعينة على ترك التدخين(١):**

١ - استحضار أضرار التدخين، وحرمته: فلا يغيبُ عن بَالِك أضرار التدخين، ولا حرمته في الدين، فإن ذلك يقودك إلى تركه والإقلاع عنه.

٢ - التوبة النصوح: فَتُبْ إلى ربك، وَعُدْ إلى رشدك، قبل أن يُتْلِف التدخين جسدك، وقبل أن يفاجئك الموت على غفلة منك.

٣- الإخلاص لله عز وجل: فالإخلاص من أنفع الأمور.

فإذا أخلصت لربك، وصدقت في توبتك، وتركت ما تهوى، رغبةَ رضى الله، وخشيةً من سخطه وأليم عقابه، فإن الله سيحفظك، وسيسهل عليك ترك الدخان.

٤ - امتلاء القلب من محبة الله عز وجل: فهذا تابع للإخلاص، وهو من

---

(١) هذه الأمور اختصرتها من كتاب «لماذا تُدخن» لمحمد حمد.

أعظم ما يقي من الفساد والانحراف.

٥- **الوقوف مع النفس**: أن تقف مع نفسك وقفة جادة، واسألها بوضوح ومصارحة:

هل تحبين الله عز وجل؟.

فإذا كانت تحب الله؛ فكيف تعصيه؟!.

تَعْصِي الإِلهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ هَذَا لَعَمْرِي فِي القيَاس شَنِيْعُ
لوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقاً لأَطَعْتَهُ إِنَّ المُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيْعُ

واسألها أيضاً هل أنت في مأمن من الأمراض المترتبة على الاستمرار في التدخين؟.

فلعل هذه الأسئلة توقظ النفس، وتبعثها إلى ترك التدخين.

١- **مقارنة اللّذة الموهومة بالضرر البالغ**: فقارن بين لذة التدخين – إن كان فيه لذة – بالضرر البالغ الذي يحصل من جرَّائه؛ يظهر لك سوءه وفساده.

٢- **لزوم الحياء**: فالحياء كله خير، ولا يأتي إلاّ بخير، والحياء خلق الإسلام، فإذا لزمت الحياء، وحرصت على التَّحَلِّي به، قادك إلى الخير، وأبعدك عن الشر، ذلك أنه خلق يبعث على فعل الجميل وترك القبيح.

٣- **الدعاء**: فهو من أعظم الأسباب المعينة على ترك الدخان، وربنا تبارك وتعالى يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [(١)]، ويقول أيضاً: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ

(١) سورة غافر: ٦٠.

عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[1].

فأكثر أخي الحبيب من الدعاء ولا تيأس.

٤- الإكثار من ذكر الله عز وجل: فبذكر الله تطمئن القلوب، وتَسكن النفوس، وتغشاها الرحمة، وتَتَنَزّل عليها السكينة، وبه تُطْرَد الخواطر الرديئة، والإرادات الفاسدة.

٥- البعد عن رفقة السوء: فرفقة السوء تُحَسِّن القبيح وتُقَبِّح الحسن، وتجرّ إلى الرذيلة، وتبعد عن الفضيلة، فالمرء يتأثر بعادات رفقته، فالصاحب ساحب، ولو ذهبت تسأل المدخنين عن سبب وقوعهم في التدخين، لوجدت عدداً كثيراً منهم وقع في التدخين بسبب صحبته السيئة.

٦- مجالسة الأخيار: فجليس الخير ينصح لك، ويُبَصِّرك بعيوبك، ويبعدك عن أهل الشر، ويَدُلّك على أهل الخير، ويَكُفّك عن المعاصي، ويذكرك بالله، ويحفظك في حضرتك ومغيبتك، ويرفع من قدرك، ولعلك تترك التدخين حياء منه.

إِذَا مَا صَحِبْتَ القوم فاصْحَبْ خِيَارَهُمْ ... وَلَا تَصْحَبِ الأَرْدَى فَتَرْدَى مَعَ الرَّدِي

٧- العزيمة الصادقة: فمهما كان لديك من رغبة في ترك التدخين، ومهما كان عندك من علم في أضراره، فإنك لن تسلك الطريق الموصل إلى تركه، ما لم

(١) سورة البقرة ١٨٦.

يكن لديك عزيمة صادقة، وسعي حثيث، وإرادة جادة.

وأخيراً: إياك والتسويف والتأجيل.

واعلم أن تأجيلك ذنب يجب عليك أن تتوب منه.

فاستعن بالله على ترك التدخين، فمن ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا مَن أَبَى» قالوا: يا رسول الله، ومَن يَأْبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»[1].

***

(١) رواه البخاري برقم (٦٧٣٧).

من أحكام السفر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «السفر قطعة من العذاب، يمنع أحدكم نومه وطعامه وشرابه، فإذا قضى أحدكم نَهْمَتَهُ فَلْيُعَجِّل إلى أهله»[1].

لَمَّا كان السفر قطعة من العذاب، جعل الله تعالى له أحكاماً ورُخَصاً تَخُصّه؛ تخفيفاً علينا مما كلفنا به، لكي لا يثقل علينا ما كلفنا به، مع ما نلاقي من مشاق السفر.

▪ قصر الصلاة الرباعية :

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي ٱلْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾[2].

وعن يعلي بن أمية قال: قلت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه: قال الله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا۟ مِنَ ٱلصَّلَوٰةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾، فقد أَمِنَ الناس؟، فقال: عَجِبْتُ مما عَجِبْتَ منه؛ فسألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك؟، فقال: «صَدَقَة تَصَدَّق الله بها عليكم، فاقبلوا صدقته»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٨٠٤)، ومسلم برقم (١٩٢٧)، وقوله: «نهمته» أي: حاجته.

(٢) سورة النساء:١٠١، وقوله: «ضربتم» أي: سافرتم، وقوله: قال الله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾ خرج مخرج الغالب حال نزول هذه الآية؛ فإن في مبدأ الإسلام بعد الهجرة كان غالب أسفارهم مخوفة. [انظر «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٧٤)].

(٣) رواه مسلم برقم (٦٨٦).

وعن عائشة رضي الله عنه، قالت: «فرض الله الصلاة حين فرضها، ركعتين ركعتين في الحضر والسفر، فأُقِرّتْ صلاة السفر وزِيْدَ في صلاة الحضر»[1].

تنبيه: أما صلاة المغرب فتبقى كما هي؛ لما جاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه إذا سافر صلّاها ثلاثاً؛ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعجله السير في السفر، يؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء»[2]، وفي رواية أخرى: «إذا أعجله السير يؤخر المغرب فيصليها ثلاثاً، ثم يُسلم، ثم قَلّمَا يَلْبَثُ حتى يُقيم العشاء، فيصليها ركعتين، ثم يُسلم»[3].

■ الجمع بين الصلاتين:

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع بين الصلاتين؛ الظهر والعصر، أو المغرب والعشاء، جمع تقديم، أو جمع تأخير، يفعل ما يراه الأيسر له وللمسافرين معه.

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك، فكان يصلي الظهر والعصر جميعاً، والمغرب والعشاء جميعاً[4].

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٠)، ومسلم برقم (٦٨٥).

(٢) رواه البخاري برقم (١٠٩١).

(٣) رواه البخاري برقم (١٠٩٢)، ومسلم برقم (٧٠٣).

(٤) رواه مسلم برقم (٧٠٦).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أعجله السير في السفر، يؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا عَجِلَ عليه السفر، يُؤَخِّرُ الظهر إلى أول وقت العصر، فيجمع بينهما، ويؤخر المغرب حتى يجمع بينها وبين العشاء حين يَغِيْبُ الشفق[2].

تنبيه: حول قصر الصلاة، والجمع بين الصلاتين، والإفطار في شهر رمضان، قبل أن يسافر؛ أي: وهو ما زال في مدينته.

فأولاً: أن أحكام السفر تبدأ إذا فارق الإنسان وطنه وخرج عامر قريته.

وثانياً: يوجد فرق بين قصر الصلاة، والجمع بين الصلاتين؛ فقصر الصلاة من أحكام السفر، فلا يجوز أن تُقصر الصلاة قبل السفر، وأما الجمع بين الصلاتين، فيجوز في حال الإقامة وحال السفر؛ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنه: «صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر والعصر جميعاً بالمدينة في غير خوف ولا سفر»، قال أبو الزبير: فسألتُ سعيدَ بن جبير، لِمَ فعل ذلك؟، فقال: سألتُ ابنَ عباس كما سألتني؟، فقال: «أراد أن لا يحرج أحداً من أُمَّتِه»[3].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «والقصر سببه السفر خاصة، لا

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) رواه مسلم برقم (٧٠٤) (٤٨).

(٣) رواه مسلم برقم (٧٠٥) (٥٠).

يجوز في غير السفر، وأما الجمع؛ فسببه الحاجة والعذر، فإذا احتاج إليه، جمع في السفر القصير والطويل، وكذلك الجمع للمطر ونحوه، وللمرض ونحوه، ولغير ذلك من الأسباب، فإن المقصود به رفع الحرج عن الأمة»[1].

وثالثاً: الفطر في شهر رمضان رخصة للمسافر، ولا يحق للمقيم الإفطار إلا في حال المرض، أو العجز، أو الحيض والنفاس.

ولكن اختلف أهل العلم، فيمن تَأَهَّب للسفر ولم يغادر مكانه بعد؛ فهل له أن يفطر أم لا؟.

فمنهم من ذهب إلى أنه يحق له أن يفطر، مستدلين بحديث أنس رضي الله عنه؛ وهو أن محمد بن كعب، قال أتيتُ أنسَ بن مالك رضي الله عنه في رمضان، وهو يريد سفراً، وقد رُحِلَتْ له راحلتُه، ولَبِس ثياب السفر، فدعا بطعام، فأكل، فقلت له: سنة؟، فقال: سنة، ثم ركب[2].

وأيضاً بعض الآثار الأخرى التي تدل على ذلك[3].

ومنهم من قال بعدم جواز ذلك مضعفين حديث أنس رضي الله عنه، ومستدلين بالأصل: أن الإفطار رخصة للمسافر، فإذا فارق عامر قريته يحق له أن يفطر.

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٢٩٣).

(٢) رواه الترمذي برقم (٧٩٩)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني، انظر رسالته «تصحيح حديث إفطار الصائم قبل سفره بعد الفجر والرد على من ضعفه».

(٣) انظر رسالة الشيخ الألباني رحمه الله تعالى المشار إليها في التخريج السابق.

والراجح أنه يحق لمن تَأَهَّب للسفر، ولم يغادر مكانه أن يفطر، لصحةِ الحديث والآثار في ذلك.

■ الفطر في شهر رمضان :

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فرأى رجلاً قد اجتمع الناس عليه، وقد ظُلِّل عليه، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما له»؟، قالوا: رجل صائم، فقال صلى الله عليه وسلم: «ليس من البر أن تصوموا في السفر»[2].

تنبيه: مَن أراد أن يصوم وهو مسافر فله ذلك ؛ لحديث أنس رضي الله عنه أنه قال: «كنا نسافر مع النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلم يُعب الصائم على المفطر، ولا المفطر على الصائم»[3].

وأيضاً: حديث حمزة بن عمرو الأسلمي رضي الله عنه، حين سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الصيام في السفر؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن شئت فصم، وإن شئت فأفطر»[4].

---

(١) سورة البقرة:١٨٤.

(٢) رواه البخاري برقم (١٩٤٦)، ومسلم برقم (١١١٥).

(٣) رواه البخاري برقم (١٩٤٧)، ومسلم برقم (١١١٨).

(٤) رواه البخاري برقم (١٩٤٣)، ومسلم برقم (١١٢١).

وأما حديث: «ليس من البر أن تصوموا في السفر »[1]، وحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج عام الفتح إلى مكة في رمضان، صام حتى بلغ كُراعَ الغَمِيم، وصام الناس معه، ثم دعا بقدح من ماء فرفعه، حتى نظر الناس إليه، ثم شرب، فقيل له بعد ذلك: إن بعض الناس قد صام، فقال صلى الله عليه وسلم: «أولئك العُصَاة، أولئك العُصَاة»[2].

قال النووي رحمه الله: هذا محمول على مَن تضرر بالصوم، أو أنهم أُمروا بالفطر أمراً جازماً لمصلحة بيان جوازه، فخالفوا الواجب، وعلى التقديرين لا يكون الصائم اليوم في السفر عاصياً، إذا لم يتضرر به، ويؤيد التأويل الأول قوله في الرواية الثانية[3]: «إن الناس قد شق عيهم الصيام» [4].

■ ترك السنن الرواتب عدا سُنة الفجر والوتر:

عن حفص بن عاصم، قال: سألت عبد الله بن عمر رضي الله عنه عن السُّبْحَة في السفر؟، فقال: صَحِبْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم في السفر، فما رأيته يُسبِّحُ، ولو كُنْتُ مُسَبِّحَاً لأَتمَمْتُ، وقد قال الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [5].

---

(١) تقدم قريباً.

(٢) رواه مسلم برقم (١١١٤) (٩٠).

(٣) رواها مسلم برقم (١١١٤) (٩١).

(٤) انظر «المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج» للنووي (٧/ ٢٣٣).

(٥) سورة الأحزاب: ٢١، والحديث رواه البخاري برقم (١١٠١)، ومسلم برقم (٦٨٩)=

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه: أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم صلى السُّبحة بالليل في السفر، على ظهر راحلته، حيث توجهت به[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوتر على راحلته[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من النوافل، أشد منه تعاهداً على ركعتين الفجر[3].

وعنها أيضاً: قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ركعتا الفجر، خير من الدنيا وما فيها»[4].

وجاء في حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه، في قصة نوم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم جميعاً عن صلاة الصبح، فقال: ثم أذَّن بلال بالصلاة، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ركعتين، ثم صلى الغداة،

= (٩)، وقوله: «السبحة» أي: صلاة النافلة والتطوع، وكذلك قوله: «يسبح» أي: يصلي نافلة، وكذلك قوله: «مسبحاً» أي: مصلياً نافلة، وقوله: «لأتممت» أي: صلاة الفريضة ولم أقصرها.

(١) رواه البخاري برقم (١١٠٤)، ومسلم برقم (٧٠١).

(٢) رواه البخاري برقم (٩٩٩)، ومسلم برقم (٧٠٠) (٣٨).

(٣) رواه البخاري برقم (١١٦٩)، ومسلم برقم (٧٢٤) (٩٤)، وقوله: «تعاهداً» أي: حفظاً.

(٤) رواه مسلم برقم (٧٢٥).

فصنع كما كان يصنع كل يوم[1].

تنبيه: ذكرت سابقاً أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يتنفل في السفر إلا سُنة الفجر والوتر؛ ولكن قد ورد أحياناً أنه صلى الله عليه وسلم كان يتنفل تنفلاً مطلقاً؛ فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنه، قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي على حمار، وهو مُوَجِّهٌ إلى خيبر[2].

وقال أيضاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى، وهو مقبل من مكة إلى المدينة على راحلته، حيث كان وَجْهُهُ[3].

وعن أم هانئ رضي الله عنها، قالت: إن النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة اغتسل في بيتها، فصلى ثماني ركعات، فما رأيته صلى صلاة أخفَّ منها، غير أنه يُتِمّ الركوع والسجود[4].

■ عدم وجوب صلاة الجمعة:

قال عبد الله بن عمر رضي الله عنه: «ليس للمسافر جمعة»[5].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ولا صلى –أي: النبي صلى الله عليه وسلم– بهم في أسفاره صلاة جمعة يخطب ثم يصلي ركعتين، بل كان يصلي

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٩٥)، ومسلم برقم (٦٨١)، واللفظ له.

(٢) رواه مسلم برقم (٧٠٠) (٣٥)، وقوله: «موجه» أي: متوجه.

(٣) رواه مسلم برقم (٧٠٠) (٣٣).

(٤) رواه البخاري برقم (١١٠٣)، ومسلم برقم (٣٣٦).

(٥) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ١٧٢).

يوم الجمعة في السفر ركعتين، كما يصلي في سائر الأيام، وكذلك لما صلى بهم الظهر والعصر بعرفة، صلى ركعتين، كصلاته في سائر الأيام، ولم يَنْقُل أحدٌ أنه جهر بالقراءة يومَ الجمعة في السفر لا بعرفة و لا بغيرها، ولا أنه خطب بغير عرفة يوم الجمعة في السفر، فَعُلِم أن الصواب ما عليه سلف الأمة وجماهيرها من الأئمة الأربعة وغيرهم، من أن المسافر لا يصلي جمعة»[1].

ولكن من كان في مكانٍ تُقام فيه الجمعة فليشهدها.

قال معمر بن راشد: سألتُ الزهري عن المسافر يَمُرّ بقرية، فينزل فيها يوم الجمعة؟، فقال: إذا سمع الآذان، فليشهد الجمعة[2].

تنبيه: حول الجمع بين صلاة الجمعة وصلاة العصر.

هي مسألة مختلف فيها بين أهل العلم، والراجح جواز ذلك؛ لأن الجمع بين الظهر والعصر أصل، والجمعة شرعت مكان الظهر، ولا دليل يُفَرِّق بينهما في مثل هذا، ولا دليل يمنع ذلك.

■ زيادة مُدة المسح على الخُفَّين :

عن شُرَيح بن هانئ، قال: أَتَيْتُ عائشة رضي الله عنها أسألها عن المسح على الخفين؟، فقالت: عليك بعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فإنه كان يسافر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألناه؟، فقال: «جعل رسول الله صلى الله عليه

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٤٨٠).

(٢) انظر «مصنف عبد الرزاق» (٣/ ١٧٤).

وسلم ثلاثة أيام ولياليهن للمسافر، ويوماً وليلة للمقيم»[1].

ذِكْرُ بعض أحكام المسح المُهِمَّة:

١ – يجوز المسح على الخفين إذا لبسهما على وضوء:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة في مسير، فأفرغتُ عليه الإدَاوة، فغسل وجهه وذراعيه، ومسح رأسه، ثم أهويتُ لأنزع خُفَّيه، فقال صلى الله عليه وسلم: «دَعْهُمَا؛ فإني أدخلتهما طاهرتين»، فمسح عليهما[2].

٢ – المحل الذي يُمسح عليه؛ هو أعلى الخُفّ فقط:

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لو كان الدين بالرأي، لكان أسفل الخُفّ أولى بالمسح من أعلاه؛ لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خُفَّيْهِ»[3].

٣ – بداية مدة المسح؛ من حين أول مسح بعد الحدث:

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يمسح المسافر على الخفين ثلاث ليال، والمقيم يوماً وليلة»[4].

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٧٦).

(٢) رواه البخاري برقم (١٨٢)، ومسلم برقم (٢٧٤).

(٣) رواه أبو داود برقم (١٦٢)، وصححه الألباني، انظر «الإرواء» برقم (١٠٣).

(٤) رواه أحمد (٥/ ٢١٣) بإسناد صحيح.

وعن أبي عثمان النهدي، قال: حضرتُ سعداً وابنَ عمر يختصمان إلى عمر في المسح على الخفين؛ فقال عمر: يمسح عليهما إلى مثل ساعته من يومه وليلته[1].

قال النووي رحمه الله تعالى: «قال الأوزاعي وأبو ثور: ابتداء المدة من حين يمسح بعد الحدث، وهو رواية عن أحمد وداود، وهو المختار الراجح دليلاً، واختاره ابن المنذر، وحكي نحوه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه»[2].

٤ – يبطل المسح بإحدى هذه الثلاثة:

(١) انقضاء المدة؛ لأن المدة محدودة، فلا يجوز الزيادة عليها.

(٢) التلبس بالجنابة؛ لحديث صفوان رضي الله عنه، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرنا إذا كنا سفراً ألاّ ننزع خِفَافنا ثلاثة أيام ولياليهن، إلا من جنابة...»[3].

(٣) نزع الخفين الممسوح عليهما؛ لأنه إذا نزعهما ثم لبسهما، لم يكن أَدْخَلهما طاهرتين.

تنبيه: إنّ بطلان المسح على الخفين، لا يلزم منه نقض الوضوء؛ فلا يحق لمن نزع خفيه أن يمسح عليهما بعد ذلك، إلا إذا توضأ وضوءاً كاملاً، ثم لبسهما.

---

(١) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١/ ٢٠٩٩)، وصححه الألباني، انظر «تمام النصح في أحكام المسح» له (ص٩١).

(٢) انظر «المجموع» (١/ ٤٨٧).

(٣) رواه الترمذي برقم (٩٦)، وحسنه الألباني، انظر «الإرواء» برقم (١٠٤).

وأمَّا خلع الخفين أو الجوربين فلا ينقض الوضوء:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «ولا يُنْقَض وضوء الماسح على الخف والعمامة بنزعهما، ولا بانقضاء المدة، ولا يجب عليه مسح رأسه ولا غسل قدميه، وهو مذهب الحسن البصري، كإزالة الشعر الممسوح، على الصحيح من مذهب أحمد وقول الجمهور»[1].

٥ – كما يجوز المسح على الخفين، فإنه يجوز المسح على الجوربين والنعلين:

عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه، قال: توضأ النبي صلى الله عليه وسلم ومسح على الجوربين والنعلين[2].

وورد المسح على الجوربين والنعلين، عن عدد من الصحابة رضي الله عنهم جميعاً، وأيضاً عن التابعين[3].

* * *

(١) انظر «الاختيارات الفقهية» (ص١٥).

(٢) رواه أبو داود برقم (١٥٩)، والترمذي برقم (٩٩)، وابن ماجة برقم (٥٥٩)، وصححه الألباني، انظر «الإرواء» (١٠١).

(٣) انظر «المسح على الجوربين» للقاسمي رحمه الله تعالى.

نُبْذَة عن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم

سبيل السعادة:

«لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الأنبياء والرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله أَلْبَتَّة إلا على أيديهم، فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به، فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأخلاقهم توزن الأخلاق والأعمال»[1].

«فالرسل سفراء الله إلى عباده وحملة وحيه، ومهمتهم الأولى هي إبلاغ هذه الأمانة التي تَحَمَّلُوها إلى الناس.

والبلاغ يحتاج إلى شجاعة وعدم خشية الناس، وهو يبلغهم ما يخالف معتقداتهم، ويأمرهم بما يستنكرونه، وينهاهم عمَّا أَلِفُوه.

ولا تقف مهمتهم عند بيان الحق وإبلاغه، بل عليهم دعوة الناس إلى الأخذ بدعوتهم والاستجابة لها، وتحقيقها في أنفسهم اعتقاداً وقولاً وعملاً.

وهم في ذلك ينطلقون من منطلق واحد، فهم يقولون للناس: أنتم عباد الله، والله ربكم وألهكم، والله أرسلنا لِنُعَرِّفكم كيف تعبدونه، ولأننا أنبياء الله مبعوثون من عنده، فيجب عليكم أن تطيعوننا وتتبعوننا.

ودعوتهم إلى الله تقترن دائماً بالتبشير والإنذار، وتبشيرهم وإنذارهم دنيوي

---

(١) انظر «زاد المعاد» للعلامة ابن القيم (١/ ٦٩).

وأخروي؛ فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، ويعدونهم بالعز والتمكين والأمن، ويُخَوِّفُون العصاة بالشقاء الدنيوي، ويحذرونهم العذاب والهلاك الدنيوي في الآخرة، يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها، ويخوفون المجرمين والعصاة عذاب الله في الآخرة.

ويبدو أن التبشير والإنذار على النحو الذي جاءوا به هو مفتاح النفس الإنسانية؛ فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها ودفع الشر عنها، فإذا بَصَّر الرسلُ النفوسَ بالخير العظيم الذي يُحَصِّلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة، فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تُبَيِّن لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال، فإن النفوس تهرب من هذه الأعمال»[1].

■ خاتم النبيين محمد المبعوث رحمة للعالمين:

ولد النبي محمد صلى الله عليه وسلم بمكة، في صبيحة يوم الإثنين، في شهر ربيع الأول، لأول عام الفيل[2].

---

(١) انظر «الرسل والرسالات» لعمر الأشقر (ص٤٣-٤٨) بتصرف.

(٢) وخلاصة قصة واقعة الفيل؛ هي: أن أبرهة بن الصباح الأشرم «ملك اليمن» بَنَى كنيسة عظيمة بصنعاء، لم يُرَ مثلها في زمانها، وقصد بذلك أن يصرف حج العرب إليها ويبطل الكعبة، فلما تحدث العرب بما صنع ملك اليمن، غضب رجل منهم، وخرج حتى أتى إليها – أي: الكنيسة-، وتغوط فيها ليلاً، ثم خرج فلحق بأرضه، فلما أخبر بذلك أبرهة غضب، وحلف ليسيرنَّ إلى الكعبة حتى يهدمها...، فلما وصل إلى الطائف، بعد أن=

=هزم من تَعَرّض له من العرب، بعث رجلاً إلى مكة، فساق أموال أهلها، وأصاب فيها مئتي بعير لعبد المطلب – جد النبي محمد صلى الله عليه وسلم –، وأحضرها إلى أبرهة، ثم أرسل أبرهة رجلاً آخر إلى مكة، ليسأل عن سيدهم وشريفهم، فسأل... فقيل له: عبد المطلب، فقال له: إن الملك يقول: إني لم آت لحربكم، إنما جئت لهدم هذا البيت، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه ولا لنا بذلك طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيت خليله إبراهيم، فإن لم يمنعه منه فهو بيته وحرمه، وإن يُخَلّ بينه وبينه، فوالله ما عندنا دفع عنه، ثم انطلق عبد المطلب مع رسول أبرهة إليه، فلما استُؤْذِنَ لعبد المطلب، أذن له، فلما رآه أبرهة أجله وأكرمه، ثم قال له: حاجتك؟ فذكر أباعره التي أُخِذَت، فقال أبرهة: قد كنتَ أعجبتني حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلمتك؛ أتكلمني عن مئتي بعير أصبتها لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين أبائك، قد جئتُ لهدمه لا تكلمني فيه؟ قال له عبد المطلب: أنا رب الإبل وإن للبيت رباً سيمنعه، فرد أبرهة على عبد المطلب الإبل، فانصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج من مكة، والتحرز بالجبال والشعاب، تخوفاً عليهم شدة الجيش.

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحلقة باب الكعبة، وقام معه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده.

فلما تهيأ أبرهة لدخول مكة وهيأ فِيْلَه الأعظم، فكانوا كلما وجهوا الفيل إلى مكة بَرَك ولم يبرح، وإذ وجهوه إلى سائر الجهات قام يهرول...، وبينما هم كذلك، أرسل الله عليهم طيراً أبابيل – أي: جماعات –، مع كل طائر ثلاثة أحجار، فلا تصيب أحداً منهم إلا هلك..

ولهذا سمي هذا العام بعام الفيل لأهميته، وصار العرب يؤرخون به، انظر «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٩ – ٤٨) بتصرف.

وجاء أن أُمّه صلى الله عليه وسلم، قالت لما ولدته صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ أنه خرج من فرجي نور أضاءت له قصور الشام»[1].

ولما ولدته أُمّه صلى الله عليه وسلم، أرسلت إلى جده عبد المطلب تبشره بحفيده، فجاء مستبشراً، ودخل به الكعبة، ودعا الله، وشكر له، واختار له اسم محمد، فقيل: كيف سميته بهذا الاسم، وليس لأحد من آبائك؟، فقال: إني لأرجو أن يحمده أهل الأرض كلهم[2].

---

(١) رواه أحمد (٤/ ١٢٨)، وصححه الألباني، انظر «السلسلة الصحيحة» برقم (١٥٤٥).

(٢) قال عياض: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحمد قبل أن يكون محمداً كما وقع في الوجود؛ لأن تسميته أحمد وقعت في الكتب السالفة، وتسميته محمداً وقعت في القرآن العظيم، وذلك أنه حمد ربه قبل أن يحمده الناس، وكذلك في الآخرة يحمده ربه فيشفعه فيحمده الناس، انظر كتاب «فتح الباري» للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦/ ٥٤٥).

وقد سماه الله سبحانه وتعالى بأسماء كثيرة، وسمى نفسه صلى الله عليه وسلم أيضاً بأسماء، وقد جمع ذلك العلامة ابن العربي في كتابه «عارضة الأحوذي على سنن الترمذي» (١٠/ ٢٨٠ – ٢٨٧)، وقد قُمْتُ بنظمها ليسهل حفظها لمن أراد، فقلتُ:

يَا صَاحِ خُذْ مَنْظُوْمَةَ الأَسَمَاءِ ... لِمَنْ علا فِي جنَّةٍ عَلَيَاءِ

مُحَمَّدٌ صَلَّى علَيهِ اللهُ ... لاَ حُرِمَتْ مِنْ ذِكرِهِ الأفوَاهُ

وَهْيَ الَّتِي جَمَّعَهَا ابْنُ العَرَبِي ... فِي «الأَحْوَذِيْ» وَفِي كِتَابِ الأَدَبِ

فَهْوَ النَّبِيُّ المُرسَلُ الأَمِيْنُ ... وَالمُسْلمُ البَشِيرُ والمُبِيْنُ

وَالعَبْدُ والدَّاعِي السِّرَاجُ والمُنِيرْ ... وَالمُصْطَفَى الهَادِي المشَفَّعُ النَّذِيرْ

وَالوَاضِعُ الرَّافِعُ ثُمَّ المُنْذِرُ ... وَالطَّيِّبُ الشَّفِيْعُ والمُبَشِّرُ =

واسترضع له[1] امرأة من بنى سعد، وهي حليمة بنت أبي ذؤيب عبد الله ابن الحارث.

ورأت حليمة من بركته صلى الله عليه وسلم ما قضت منه العجب؛ فكانت

=

وَالأُمِّـيْ وَالـشَّهِيدُ ثُـمَّ العَاقِـبُ	وَالرَّحمَـةُ الكـرِيمُ ثـمَّ الـصَّاحِبُ
وَمــؤْمِنٌ وَأَحْمَــدٌ وَخــاتمُ	الأنبيــاءِ وَالــرَّؤُوفُ القَاسِــمُ
مُحلِّــلٌ مُحَــرِّمٌ مُــذَكِّرُ	كَـذَاكَ ثَـاني اثنَـينِ مِنْهـا يُـذْكَرُ
مَــأْمونٌ النَّقِيــبُ وَالــرَّحيمُ	وَالمـاحِي وَالمزَّمــلُ الحَكِيـمُ
وَأُذُنُ خَـيْرٍ عامــلٌ مُهَــاجِرُ	كــذَاكَ عبــدُ الله ثــمَّ الـذَّاكِرُ
وَحِــاشِرٌ ثــمَّ نبِــيُّ الرَّحْمَــةِ	ثــمَّ المُبَــارَكُ نبِــيُّ التوْبَــةِ
مُــحَمَّدٌ فَهْــوَ نبِــيُّ المَلْحَمَــةْ	الآمــرُ النَّــاهي مجِــيْرٌ فَافْهَمَــهْ
وَهْــوَ المــصَدِّقُ الإِمــامُ النُّــوْرُ	ثُــمَّ الــمُقَفِّي وَالعَــلي المنْــصُورُ
ثــمَّ الرَّسُــولُ، وَبــذا تَــمَّ هُنَــا	مــا جَمَــعَ ابــنُ العَــرَبِي إمَامُنــا
وَإِنْ أَرَادَ أَحَــدٌ ذِكــرَ المَزِيــدْ	فقــدْ يَزِيــدُ وَيزِيــدُ وَيزِيــدْ
إذْ قــالَ أهــلُ العِلــمِ وَالتَّكْـرِيمِ	كَثْرَتُهَــا دَلَّــتْ عَــلَى التعْظِيْــمِ
وَمَــنْ مِــنَ الخَلْــقِ سِــوَاهُ أَعْظَــمُ	هُــوَ أَعْظَــمُ وَأَعْظَــمُ والأَعْظَــمُ
يــا رَبِّ بالحُــبِّ لــهُ أَدْخِلنــا	فِرْدَوسَــكَ الأعظَــمَ واعْــفُ عنَّــا
وَصَــلِّ يــا رَبِّ إلــهَ العَــالَمِيْنْ	علَى النبِـيْ وآلِـهِ الـصَّحْبِ الأَمِـينْ

(١) وكانت من العادة عند الحاضرين من العرب أن يلتمسوا المراضع لأولادهم، ابتعاداً لهم عن أمراض الحواضر، ولتقوى أجسامهم وتشتد أعصابهم، ويتقنوا اللسان العربي في صغرهم.

حليمة تحدث: أنها خرجت من بلدها مع زوجها وابن لها صغير ترضعه، في نسوة من بني سعد بن بكر، تلتمس الرّضَعَاء، وذلك في سنة مجدبة لا خضرة فيها ولا مطر، قالت: فخرجت على أتان[1] لي بيضاء، ومعنا ناقة مُسِنَّة لا تسيل بقطرة[2]، وما ننام ليلنا أجمع من صَبِيِّنا الذي معنا؛ من بكائه من الجوع؛ ما في ثديي ما يُغْنِيه، وما في ناقتنا ما يغذيه، ولكن كنا نرجوا الغيث والفرج، حتى قدمنا مكة نلتمس الرضعاء، فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها محمد صلى الله عليه وسلم فَتَأْبَاه؛ إذا قيل لها: إنه يتيم، وذلك أنَّا كنا نرجوا المعروف من أبي الصبي، فما بقت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما أجمعنا الإنطلاق، قلت لزوجي: والله إني لأكره أن أرجع من بين صواحبي ولم آخذ رضيعاً، والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فلآخُذَنَّه، قال: لا عليكِ أن تفعلي، عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة، فذهبت إليه وأخذته، فلما رجعت به إلى رحلي، وضعته في حجري أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن، فشرب حتى رَوِي، وشرب معه ابني حتى رَوِي، ثم ناما، وما كنا ننام معه قبل ذلك، وقام زوجي إلى ناقتنا المُسنّة، فإذا هي ممتلئة باللبن، فحلب منها ما شرب وشربت معه، حتى انتهينا رِيَّاً وشِبَعاً، فَبِتْنَا بخير ليلة، وحين أصبحنا، قال زوجي: تعلمي – والله – يا حليمة؛ لقد أخذتِ نَسْمَة مباركة، فقلت: والله إني لأرجو ذلك، ثم خرجنا، وركبت أنا أتاني، وحملتُه عليها معي،

(١) هي أنثى الحمار.

(٢) أي: ليس فيها حليب.

فوالله لقطعت بالركب ما لا يقدر عليه شيء من حُمُرهم، حتى أن صواحبي لَيقلن لي: يا حليمة، ويحكِ! أَرْفِقِي بنا، أليست هذه أَتَانُكِ التي كنتِ خرجتِ عليها؟!، فأقول لهنّ: بلى – والله – إنها لهي هي، فيقلن: والله إن لها شأناً.

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، وما أعلم أرضاً من أرض الله أجدب منها، فكانت غنمي تروح عليّ حين قدمنا به معنا شِبَاعاً مُمْتَلِئَة الضَّرْع باللبن، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها في ضرع، حتى كان الحاضرون من قومنا يقولون لرعيانهم: ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي حليمة، فتروح أغنامهم جياعاً لا تسيل بقطرة لبن، وتروح غنمي شِبَاعاً مُمْتَلِئَة الضَّرْع باللبن، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير، حتى مضت سنتاه وفَصَلْتُه، وكان يَشِبّ شباباً لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتين حتى كان غلاماً قوياً شديداً.

فقدمنا به على أُمِّه، ونحن أحرص على مُكْثِه فينا؛ لِمَا كنا نرى من بركته، فكلمنا أُمَّه، وقلتُ لها: لو تركت ابني عندي حتى يغلظ؛ فإني أخشى عليه وباء مكة، فلم نزل بها حتى ردته معنا.

وفي السنة الرابعة من مولده؛ وقع حادث شقِّ صدره، فقد أتاه رجلان عليهما ثياب بيض، معهما طست من ذهب مملوء ثلجاً، فأضجعاه، فشق أحدهما عن قلبه، فاستخرج القلب، فاستخرج منه علقة سوداء، فقال: هذا حظ الشيطان منك، ثم غسله في طست، ثم جمعاه وضمّا بعضه إلى بعض، ثم أعاداه في مكانه.

قالت حليمة: فخشيت عليه بعد هذه الواقعة ورددته إلى أُمّه.

فكان عند أُمّه إلى أن بلغ ست سنين، ثم ماتت أُمّه، فانتقل إلى رعاية جَدِّه عبد المطلب، ولما مضى من عمره ثماني سنوات وأشهرٍ، مات جَدُّه عبد المطلب، وكان قد رأى قبل وفاته، أن يعهد بكفالته إلى عمه أبي طالب.

ونهض عمه أبو طالب بحقه على أكمل وجه، واختصه بفضل احترام وتقدير.

وروي أن مكة أَجْدَبَتْ، فقالت قريش: يا أبا طالب أَقْحَط الوادي وأَجْدَب العيال، فَهَلُمَّ فاستسقِ، فخرج أبو طالب ومعه محمد صلى الله عليه وسلم –وهو ما زال غلاماً–، فألصق ظهره بالكعبة، وَلاَذ والْتَجَأ إلى السماء تضرعاً، وما في السماء سحابة، فأقبل السحاب، وكثر مطره، وانفجر الوادي، فقال أبو طالب مادحاً محمداً صلى الله عليه وسلم:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ[1] اليتامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

ولما بلغ محمد صلى الله عليه وسلم اثنتي عشر سنة، ارتحل به أبو طالب تاجراً إلى الشام، حتى وصل إلى بُصرى من أرض الشام وكان ببُصرى راهب، يقال له: بَحِيْرَى، في صومعة له، وكان ذا علم من أهل النصرانية، فلما نزل الرَّكْبُ خرج إليهم، وكان لا يخرج إليهم قبل ذلك؛ فجعل يتخللهم، حتى جاء فأخذ بيد محمد صلى الله عليه وسلم، وقال: هذا سيد العالمين، هذا رسول رب العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين، فقال له أبو طالب وأشياخ قريش: وما علمك

(١) أي: يقوم بأمرهم.

بذلك؟!، فقال: إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق حجر ولا شجر إلا خر ساجداً، ولا يسجدان إلا لنبي، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة، وإنا نجده في كتابنا، ثم أكرمهم بالضيافة، وسأل أبا طالب أن يرده، ولا يَقْدُم به إلى الشام، خوفاً عليه من الروم واليهود، فبعثه عَمّه مع بعض غلمانه إلى مكة.

وظل محمد صلى الله عليه وسلم في رعاية عَمّه فوق أربعين سنة يَعِزّ جانبه، ويبسط عليه حمايته، و يصادق ويخاصم من أجله.

«وجرت حياة النبي محمد صلى الله عليه وسلم من حيث أنه بَشَرٌ على السنن القائمة الدائمة، يجوع ويشبع، ويَصِحّ ويمرض، ويتعب ويستريح، ويحزن ويُسَرّ، ولكن البشر أنفسهم في هذه النواحي صنوف لا تجمعهم قاعدة عامة، منهم المتهالك على ضروراته، ومنهم الجلد الصَّبار، وكان محمد صلى الله عليه وسلم جلداً صبَّاراً، في تحمل أعباء الحياة ومشاقها»[1].

«ولما تقاربت سِنُّه صلى الله عليه وسلم الأربعين حُبِّبَ إليه الخلاء، فكان يأخذ شيئاً من الطعام والشراب، ويذهب إلى غار حِرَاء، وهو غار في رأس جبل من الجبال المشرفة على مكة، فيقيم فيه، ويقضي معظم وقته فيه.

وكان اختياره صلى الله عليه وسلم لهذه العزلة من تدبير الله تعالى له قبل تكليفه بالرسالة.

---

(١) من «فقه السنة» الغزالي (٤٣-٤٤) بتصرف

فلما كان من عُزْلَتِهِ صلى الله عليه وسلم شاء الله تعالى أن يفيض من رحمته على أهل الأرض، فأكرمه بالنبوة، وأنزل إليه الملك – جبريل -، فقال: اقرأ، فقال صلى الله عليه وسلم: «ما أنا بقارئ»، قال: «فأخذني فغطَّني حتى بلغ مني الجَهْدُ ثم أرسلني»، وهكذا فعل، حتى قال له في الثالثة: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ . خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ . ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ . ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ . عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[1]، فرجع بها صلى الله عليه وسلم يرجف فؤاده، فدخل على زوجته خديجة بنت خويلد: فقال لها صلى الله عليه وسلم: «زَمِّلُوني. زملوني»، فزمَّلُوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة: «ما لي؟»، ثم أخبرها بما حدث معه؛ وقال صلى الله عليه وسلم: «لقد خشيت على نفسي»، فقالت خديجة: كلا، والله ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الثقل،وتعطي الفقير، وتعين على حوادث الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل (ابن عم خديجة)، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً، قد عَمِيَ، فأخبره محمد صلى الله عليه وسلم بما حدث معه، فقال له ورقة: هذا النَّامُوس الذي نَزَّله الله على موسى صلى الله عليه وسلم، وإن يدركني يومك، أنصرك نصراً مُؤَزّراً، ثم لم يلبث ورقة أن توفي[2].

ولقد عرف محمد صلى الله عليه وسلم معرفة اليقين، أنه أضحى نبياً لله

---

(١) سورة العلق: ١-٥.

(٢) رواه البخاري برقم (٣)، ومسلم برقم (٢٥٢).

سبحانه وتعالى، وأن الذي جاءه هو رسول من الله...، إلاّ أن الرَّوْعَة التي انْتَابَتْـهُ من هذه الصلة بينه والملك، تركت في نفسه أثراً من الجَهْدِ.

وقد ظل يعاني من التنزيل شِدَّةً أَمَدَاً طويلاً، وشـاء الله أن يفـتر بعـد ابتدائـه، حتى يكون تَشَرُّف محمد صـلى الله عليـه وسـلم وارتقابـه لمجيئـه، سـبباً في ثباتـه واحتماله عندما يعود.

وجاءه الملك جبريل مرة ثانية، فبينما هو يمشي إذ سمع صوتاً من السماء، فرفع رأسه، فإذا الملك الذي جاءه بحِرَاء جالساً على كرسي بين السماء والأرض، ففزع منه حتى هـوى إلى الأرض، فجـاء إلى أهلـه فَـدَثَّرُوه..، فـأنزل الله تعـالى عليـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ . قُمْ فَأَنذِرْ . وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ . وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ . وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾[1]»[2].

«وكانت هذه الأوامر المتتابعة، إيذاناً لمحمد صلى الله عليه وسلم بـأن المـاضي قد انتهى، وأن أمامه عمل جديد، يستدعي اليقظة والتشمير.

وشرع محمد صـلى الله عليـه وسـلم يكلـم النـاس، ويـدعوهم إلى الإسـلام، ويعرض عليهم الأخذ بهذا الدين الذي أرسله الله به»[3].

«وظل قائماً أكثر من عشرين عاماً، لم يسترح ولم يسكن، ولم يعـش لنفـسه ولا لأهله، قام وظل قائماً على دعوة الله تعالى، يحمل على عاتقه العِبْءَ الثقيل البَاهِظ، ولا ينوء به، عِبْء الأمانة الكبرى في هذه الأرض، عِبْء البـشرية كلهـا، عِـبْء

---

(١) سورة المدثر: ١-٥.

(٢) انظر «الرحيق المختوم» لصفي الرحمن المباركفوي (ص٨٦-٩٠) بتصرف.

(٣) انظر «فقه السيرة» لمحمد الغزالي (ص٩٠-٩٢) بتصرف.

العقيدة كلها، وعِبْء الكفاح والجهاد في ميادينٍ شَتَّى، عاش في المعركة المستمرة أكثر من عشرين عاماً، لا يُلْهِه شأن عن شأن في خلال هذا الأمد، منذ أن سمع النداء العلوي الجليل، وتلقى منه التكليف الرهيب» [1].

■ من فضائل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن صلى عليَّ واحدة، صلى الله عليه عشراً» [3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن البخيل لَمَنْ ذكرتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ» [4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن ذكرتُ عنده فلم يُصَلِّ عليَّ؛ فقد خَطِئ طريق الجنة» [5].

* * *

---

(١) انظر «الرحيق المختوم» للمباركفوري (ص٩١) بتصرف.

(٢) سورة الأحزاب: ٥٦.

(٣) رواه مسلم برقم (٤٠٨).

(٤) رواه النسائي في «الكبرى» برقم (٩٨٨٣)، وصححه الألباني، انظر «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» برقم (٣١).

(٥) صححه الألباني، انظر «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» برقم (٤٤).

المدينة النبوية المنورة المشرفة

■ من أسمائها، وأوصافها :

سُمِّيت المدينة بأسماء كثيرة، وَوُصِفَت بصفات عديدة، وهذا يدل على شرفها وفضلها، لأن كثرة الأسماء والصفات للشيء الواحد يدل على عظمته.

ومن أسمائها الثابتة:

١ – المدينة:

قال الله تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُواْ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُواْ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ﴾[(١)].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ بقَرْيَة تأكل القُرى، يقولون: يَثْرِب؛ وهي المدينة، تنفي الناس، كما ينفي الكِيرُ خَبَثَ الحديد»[(٢)].

٢ – طَيْبَة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّها طيبة – يعني: المدينة –، وإنها تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة»[(٣)].

---

(١) سورة التوبة: ١٢٠.

(٢) رواه البخاري برقم (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨٢)، وقوله: «أمرت بقرية» أي: أمرني ربي بالهجرة إلى قرية، وقوله: «تأكل القرى» أي: تغلبها وتظهر عليها.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٠٥٠)، ومسلم برقم (١٣٨٤).

٣ – طَابَة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى سمى المدينة طابة»[1].

٤ – الدار؛ أي: دار الهجرة:

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ﴾[2]؛ أي: سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين، وآمنوا قبل كثير منهم.

تنبيه: رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «للمدينة عشرة أسماء؛ هي: المدينة، وطابة، وطيبة، والـمُطيِّبَة، والمَكِيْنَة، والمِدْرَى، والجابرة، والـمَجْبُورة، والـمُحَبَّبَة، والمَحْبُوبة»[3]، ولكنه لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وله روايات أخرى، فيها غير هذه الأسماء، وكلها لا تثبت ولا تصح عنه صلى الله عليه وسلم.

تنبيه آخر: سميت المدينة قديماً يثرب، وقيل: سبب تسميتها بذلك، أن أول مَن سكنها رجل من العمالقة يُسَمَّى «يثرب بن قانية بن مهلائيل».

ولقد جاءت هذه التسمية في القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ

(١) رواه مسلم برقم (١٣٨٥).

(٢) سورة الحشر:٩.

(٣) انظر «تفسير ابن كثير» (٦/ ٦٠٥)، وقوله: «المدرى» أي: القرن الغليظ؛ والمراد: أنها قوية.

﴿يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا﴾[1]؛ ولكنها عبارة عن حكاية قول المنافقين، ولا يلزم منه إقرار لتلك التسمية.

والعلماء متفقون على كراهية تسمية المدينة بـ «يثرب» لقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أُمِرْتُ بقرية تَأْكُل القُرَى؛ يقولون: يثرب، وهي المدينة....»[2].

■ من فضائلها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما جعلتَه بمكة من البركة»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إنها طيبة؛ تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة»[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الإيمان لَيَأْرِز إلى المدينة، كما تَأْرِز الحية إلى جُحْرِها»[5].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس من بلد إلا سَيَطَؤُه الدَّجَّال، إلاّ مكة والمدينة، ليس له من نِقَابِهَا نَقْبٌ إلاّ عليه الملائكة يحرسونها، ثم ترجُف المدينة

(١) سورة الأحزاب:١٣.

(٢) تقدم قريباً.

(٣) رواه البخاري برقم (١٨٨٥)، ومسلم برقم (١٣٦٩).

(٤) تقدم قريباً.

(٥) رواه البخاري برقم (١٨٧٦)، ومسلم برقم (١٤٧).

بأهلها ثلاث رجفات، فيُخرج الله كل كافر ومنافق»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم حَبِّبْ إلينا المدينة، كحُبِّنا مكة أو أشد...»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «المدينة خير لهم لو كانوا يعلمون، لا يدعها أحد رغبة عنها، إلاّ أبدل الله فيها من هو خير منه، ولا يثبت أحد على لأوَائِهَا وجَهْدِها، إلاّ كُنْتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أُحَرِّمُ ما بين لابَتَيْها، بمثل ما حَرَّم إبراهيم مكة، اللهم بارك لهم في مُدِّهم وصَاعِهم»[4].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم بارك لنا في ثمرنا، وبارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في صاعنا، وبارك لنا في مُدِّنا، اللهم إن إبراهيم عبدك وخليلك ونبيك، وإني عبدك ونبيك، وإنه دعا لمكة، وإني أدعوك للمدينة بمثل ما دعاك به لمكة ومثله معه»[5].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٨٨١)، ومسلم برقم (٢٩٤٣)، قوله: «سيطؤه» أي: سيدخله، وقوله: «نقابها نقب» النقب هو الطريق في الجبل، وقوله: «ترجف» أي: تزلزل.

(٢) رواه البخاري برقم (١٨٨٩)، ومسلم برقم (١٣٧٦).

(٣) رواه مسلم برقم (١٣٦٣).

(٤) رواه البخاري برقم (٢٨٩٣)، ومسلم برقم (١٣٦٥)، قوله: «لابتيها» هي حجارة سوداء في شرقي وغربي المدينة، قوله: «مدهم وصاعهم»: المُد هو حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين، والصاع هو أربعة أمداد.

(٥) رواه مسلم برقم (١٣٧٣).

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن إبراهيم حَرَّم مكة، وإني حَرّمْتُ المدينة؛ ما بين لابَتَيْها، لا يُقْطَع عِضَاهُهَا، ولا يُصَاد صيدها»[1].

■ حدود حرمها:

قال رسول صلى الله عليه وسلم: «المدينة حَـرَمٌ؛ مـا بـين عَـيْر إلى ثَـوْر، فمـن أحدث فيها حدثاً أو آوى مُحْدِثاً، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقْبَلُ منه يوم القيامة صَرْفٌ ولا عَدْلٌ»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «اللهم إني أُحَرِّم ما بين لابَتَيْها....»[3].

هذان الحديثان يحددان حدود المدينة؛ بحيث أن الحـديث الأول: يحـددها مـن جهة الطول، بحيث يقع الحرم ما بين عير إلى ثور؛ وهما جبلان يقع أولهما: جنوب المدينة، وثانيهما: يقع في شمال المدينـة، وأمـا الحـديث الثـاني: يحـددها مـن جهـة العرض، بحيث يقع ما بين لابتيها، وهم: الوبرة، والواقم؛ أولاهما: تقع في غرب المدينة، وثانيهما: تقع في شرق المدينة.

ومقتضى هذا التحريم عدم قطع شجرها وتنفير صيدها، كما هو الحال في حرم مكة المكرمة.

***

(١) رواه مسلم برقم (١٣٦٢)، وقوله:«عضاهها» العضاة: هو كل شجر فيه شوك.

(٢) رواه البخاري برقم (٦٧٥٥)، ومسلم بـرقم (١٣٧٠) وقولـه: «صرف ولا عـدل» أي: نفل ولا فرض.

(٣) تقدم قريباً.

المسجد النبوي

■ من فضائله:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا، خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ما بين بيتي ومنبري، روضة من رياض الجنة»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «مَن جاء مسجدي هذا، لم يأته إلا لخير يَتَعَلّمه أو يُعَلِّمه؛ فهو بمنزلة المجاهد في سبيل الله، ومن جاء لغير ذلك؛ فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[4].

وعن أبي سلمة ابن عبد الرحمن، قال: مَرّ بي عبد الرحمن ابن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فقلتُ له: كيف سمعتَ أباك يذكر في المسجد الذي أسس على التقوى؟، قال: قال أَبِي: دخلتُ على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أي المسجدين الذي أسس على التقوى؟،

(١) رواه البخاري برقم (١١٩٠)، ومسلم برقم (١٣٩٤).

(٢) رواه البخاري برقم (١١٩٥)، ومسلم برقم (١٣٩٠).

(٣) رواه ابن ماجة برقم (٢٢٧)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٦١٨٤).

(٤) رواه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧).

قال: فأخذ كَفًّاً مِن حصباء،فضرب به الأرض، ثم قـال: «هـو مـسجدكم هـذا» – لمسجد المدينة– [1].

تنبيه: «عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبـي صـلى الله عليـه وسـلم قـال: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾[2]»[3].

وفي رواية: قال رسول الله صلى الله عليـه وسـلم: «إن الله قـد أحـسن علـيكم الثناء في الطهور، فما بلغ من طهوركم؟»، قالوا: نستنجي بالماء[4].

فحديث مسلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذه النصوص في مسجد قباء.

«قال الحافظ ابن حجر رحمه الله – عنهما -: والحق أن كـلاً مـنهما أسـس عـلى التقوى، وقوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ﴾ ظاهر في أهـل قبـاء، وقيل: إن حديث مسلم في خصوص مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، جاء ردَّاً على اختلاف رجلين في المسجد المَعْنِيِّ بها، فأراد صلى الله عليه وسلم أن يُبَيِّن لهم، أن الآية ليست خاصة في مسجد قباء، وإنما هي عامة في كل مـسجد أسـس عـلى التقوى، وأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

---

(١) رواه مسلم برقم (١٣٩٨).

(٢) سورة التوبة:١٠٨.

(٣) رواه أبو داود برقم (٤٤)، والترمذي برقم (٣١٠٠)، وصححه الألباني، انظر «صـحيح الجامع» برقم (٦٧٦٠).

(٤) رواها أحمد (٣/ ٤٢٢)، وحسنه الألباني، انظر «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٧٥).

وعليه؛ فالآية إذاً اشْتَمَلَتْ وَتَشْتَمِل على كل مسجد أينما كان، إذا كان أساسه من أول يوم بنائه على التقوى، ويشهد لذلك سياق الآية بالنسبة إلى ما قبلها وما بعدها، فقد جاءت قبلها قصة مسجد الضرار بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسۡجِدٗا ضِرَارٗا وَكُفۡرٗا وَتَفۡرِيقَۢا بَيۡنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَإِرۡصَادٗا لِّمَنۡ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبۡلُۚ وَلَيَحۡلِفُنَّ إِنۡ أَرَدۡنَآ إِلَّا ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ . لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[1].

ومعلوم أن مسجد الضرار كان بمنطقة قباء، وطلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يصلي لهم فيه، تبركاً في ظاهر الأمر، وتقريراً لوجوده، يَتَذَرّعون بذلك، ولكن الله كشف عن حقيقتهم، وجاءت الآية بمقارنة المسجدين؛ فقال تعالى له: ﴿لَا تَقُمۡ فِيهِ أَبَدٗاۚ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٞ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ﴾، وجاء بعد ذلك مباشرة للمقارنة مرة أخرى، أعم من الأولى في قوله تعالى: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ . لَا يَزَالُ بُنۡيَٰنُهُمُ ٱلَّذِي بَنَوۡاْ رِيبَةٗ فِي قُلُوبِهِمۡ﴾[2].

(١) سورة التوبة: ١٠٧-١٠٨.

(٢) سورة التوبة:١٠٩-١١٠.

وبهذا يكون السبب في نزول الآيـة هـو المقارنـة بـين مبـدأين متغـايرين، وأن الأَوَّلِيَّة في الآية في قوله: ﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ أولية نسبية؛ أي: بالنسبة لكل مسجد في أول يوم بنائه، وإن كان الظاهر فيها أولية زمانية خاصـة، وهـو أول يـوم وَصَـلَ صلى الله عليه وسلم المدينة، ونزل بقباء، وتظل هذه المقارنة في الآية موجـودة إلى ما شاء الله في كل زمان ومكان كما قدمنا»[1].

■ موضع المسجد النبوي :

إن موضع مسجد النبي صلى الله عليه وسلم كان لِبَنِي النجار، وكان فيه قبور مشركين، وفيه خَرِب، وفيه نَخْل، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم بقبور المشركين فَنُبِشَتْ، وبالخَرِب فَسُوِّيَتْ، وبالنخل فَقُطِع[2].

■ بماذا بَنَى النبي صلى الله عليه وسلم مسجده؟.

بَنَى النبي صلى الله عليـه وسـلم وأصـحابه المـسجد في المدينـة بـاللَّبِن -أي: الطوب-، وجعلوا عِضَادتيه - أي: جانبي الباب - حجـارة، وكانـت سَـوَارِيه من جذوع النخل، وسَقْفه من جريدٍ وخوصٍ، ليس على السقف كثير طين، فـإذا نزل المطر امتلأ المسجد طيناً.

---

(١) انظر «أضواء البيان» للشنقيطي (٨/ ٣٢٢) بتصرف.

(٢) رواه البخـاري بـرقم (٤٢٨)، ومـسلم بـرقم (٥٢٤)، وقولـه: «الخـرب» أي: الموضـع المحروث للزراعة.

■ اتجاه قبلة مسجده صلى الله عليه وسلم في البداية إلى بيت المقدس:

كان يصلي صلى الله عليه وسلم في مكة إلى بيت المقدس؛ ولكنه كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس؛ يصلي بين الركن اليماني، والركن الذي فيه الحجر الأسود؛ فتكون الكعبة أمامه وبيت المقدس وراء الكعبة، فيستقبلهما في آنٍ واحدٍ.

ولما قدم المدينة صلى الله عليه وسلم لا يمكنه أن يجمع بينهما؛ لأن الكعبة في الجنوب وبيت المقدس في الشمال، فصلى صلى الله عليه وسلم إلى بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، كما في رواية البراءة بن عازب رضي الله عنه[1]، ثم أنزل الله تعالى: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾[2].

■ الروضة الشريفة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[3].

«هل معنى كون هذه البقعة روضة من رياض الجنة، أنها تقطع من الأرض

---

(١) رواها البخاري برقم (٤٠)، ومسلم برقم (٥٢٥).

(٢) سورة البقرة: ١٤٤.

(٣) رواه البخاري برقم (١١٩٥)، ومسلم برقم (١٣٩٠).

يوم القيامة وتوضع في الجنة؟.

أم معنى ذلك: أن من لازم العبادة فيها، حصلت له روضة من رياض الجنة يوم القيامة؟.

أم معنى ذلك: أنها روضة في الدنيا للعلم والمعرفة، حيث كان يقتبس ذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو فيها، ثم تجعل يوم القيامة إحدى رياض الجنة، فرياض الجنة حِلَق الذكر؟»[1].

وهذه معاني محتملة، يصعب الترجيح بينها...، بل يمكن الجمع بينها كلها.

■ منبر النبي صلى الله عليه وسلم:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع في المسجد، فلما اتخذ المنبر حنَّ الجذع حتى أتاه فالتزمه فسكن[2].

وصُنِعَ هذا المنبر من أعواد من طرفاء الغابة له ثلاث درجات، كما جاء عن أبي حازم، قال: إن نفراً جاءوا إلى سهل بن سعد رضي الله عنه، قد تماروا في المنبر، من أي عودٍ هو؟، فقال رضي الله عنه: أما – والله – إني لأَعْرِف من أي عود هو، وَمن عَمِلَه، ورأيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم أَوَّل يوم جلس عليه، لقد أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى امرأة، فقال صلى الله عليه وسلم:

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (ص٢٤)، للشيخ غالي محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى.

(٢) رواه أحمد (١/ ٣٦٣)، والترمذي برقم (٥٠٥)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٢١٧٤).

«انظري غلامك النجار، يعمل لي أعواداً أُكَلِّم الناس عليها»، فعمل هذه الثلاث درجات، ثم أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فَوُضِعَتْ هذا الموضع، فهي من طرفاء الغابة [1].

■ أساطين[2] المسجد النبوي الشريف:

«كانت أعمدة المسجد النبوي من خشب في عهده صلى الله عليه وسلم، وورد أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه، رأى بعضها أكلته الأرضة[3]، فأبدله بأعمدة أخرى من الخشب، ثم قام عمر بن الخطاب رضي الله عنه بتغيير أعمدة المسجد، وبناها باللَّبِن[4]، ولم يغير مكانها، وكذلك الخلفاء الذين جددوا ووسعوا المسجد بعده، فلم يغيروا مكانها على مَرِّ الزمان، مما ترك للمسلمين فرصة التعرف على مكان هذه الأعمدة، وإليكم أسماءها:

١ – أسطوانة عائشة رضي الله عنها، كما هو مكتوب الآن في أعلاها، وتسمى أيضاً: أسطوانة القرعة، أو أسطوانة المهاجرين.

٢ – أسطوانة الوفود.

٣ – أسطوانة التوبة، مكتوب في أعلاها الآن أسطوانة أبي لبابة رضي الله عنه.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٧٧)، ومسلم برقم (٥٤٤)، وقوله: «طرفاء الغابة»، هو موضع معروف من عوالي المدينة.

(٢) جمع أسطوانة: وهي العامود الذي يرتكز عليه السقف.

(٣) هي دويبة تأكل الخشب.

(٤) جمع لبنة؛ وهي ما يُبْنَى به من الطين؛ أي: الطوب.

٤ – الأسطوانة المُخَلّقة؛ أي: المطيبة بطيب الخلوق، وهي اليوم يرتكز عليها المحراب، ومكتوب في أعلاها الأسطوانة المخلقة.

٥ – أسطوانة السرير؛ وهي اليوم ملاصقة لشباك الحجرة الشريفة.

٦ – أسطوانة الحرس أو المَحْرَس، وتسمى أيضاً أسطوانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وبداخل الشباك أسطوانات أخرى، منها أسطوانة مربعة القبر، وأسطوانة التهجد»[(١)].

■ أبواب المسجد النبوي في حياته صلى الله عليه وسلم وبعدها :

«عندما بنى النبي صلى الله عليه وسلم مسجده جعل له ثلاثة أبواب، باب في مؤخرته من جهة الجنوب – وكانت القبلة إلى بيت المقدس –، وباب في الركن الشمالي الغربي، وهو باب عاتكة بنت عبد المطلب عمة النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الذي أصبح يعرف بباب الرحمة، وباب عثمان رضي الله عنه، وكان يعرف قبل هذه التسمية بباب النبي صلى الله عليه وسلم، وأصبح يعرف بباب جبريل.

---

(١) انظر: «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٤٣-٥٦) بتصرف.

تنبيه: لقد جاء في سبب تسميتها بهذه الأسماء قصص لا تثبت ولا تصح؛ انظر المصدر السابق.

فهذه أبواب المسجد قبل تحويل القبلة، أما بعد تحويلها غُيِّر فيها.

وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما وسع المسجد أصبح للمسجد ثمانية أبواب.

ثم بقي على ذلك إلى عهد الوليد بن عبد الملك، وكان واليه على المدينة عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فوسع المسجد، وجعل له عشرين باباً، ثمانية من جهة الشرق، وأبواب في الشمال، وأبواب في الغرب »[1].

وتمت توسعات أخرى للمسجد النبوي، وكان أبرزها في العهد السعودي؛ وفيه زِيْدَ في عدد أبوابها في جميع الجهات، حتى أصبح عددها (٨٥) سواء الداخلية أو الخارجية.

■ الخُوَخُ[2] التي كانت مفتوحة على المسجد النبوي:

«كان للمسجد النبوي ثلاث خُوَخ أساسية:

١ – خوخة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

وكانت غربي المسجد بعد العامود الأخير من حدّ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وبما أن خوخة أبي بكر الصديق وداره أصبحتا من المسجد النبوي، فقد فتح إلى الغرب من مكانها فتحة، وكتب عليها (خوخة أبي بكر الصديق).

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٥٦-٥٩) بتصرف.

(٢) جمع خوخة؛ وهي الباب الصغير –كالنافذة–، يكون بين المسجد وبين بيت مجاور له.

تنبيه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَبْقَيَنَّ في المسجد خوخة، إلا خوخة أبي بكر»[1].

٢ – خوخة علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وهي تَمُرّ بين حجرة السيدة عائشة رضي الله عنها وحجرة فاطمة رضي الله عنها، وفي يمين مدخلها إلى المسجد تقع أسطوانة الحرس، التي كانت تسمى أيضاً بأسطوانة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه.

٣ – خوخة كانت بين حجرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وبين حجرة أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها.

وتقع في مكان الشباك أمام الزائرين اليوم»[2].

■ الصُّفَّة وموقعها وأهلها:

الصُّفَّة: هي المكان المُظَلّل.

وموقعها في مؤخرة المسجد النبوي بعد تحويل القبلة، وقبل كل التوسعات التي طرأت على المسجد.

وأهلها هم فقراء المهاجرين الذين لا مسكن لهم ولا مكسب ولا مال، ثم انْضَمّ إليهم غيرهم ممن هو على نفس حالهم من المسلمين.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٩٠٤)، ومسلم برقم (٢٣٨٢).

(٢) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٥٩-٦١) بتصرف.

▪ توسعات المسجد النبوي الشريف:

«لما قَدِم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، مهاجراً من مكة، بنى مسجده الشريف، فكانت مساحته قرابة ثلاثين متراً في خمسة وثلاثين متراً، ولما كثر عدد المسلمين، وضاق المسجد بهم، زاد مساحته، فأصبحت خمسين متراً في خمسين متراً؛ أي: حوالي ألفين وخمس مئة متر مربع.

فكان النبي صلى الله عليه وسلم هو أول مَن وسّع مسجده الشريف، ثم قام بعد ذلك الخلفاء والولاة في مختلف الأزمان والعصور بتوسعات عِدّة؛ فقد وَسَّعَهُ الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، ثم الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنهما، ثم الوليد بن عبد الملك الأموي، ثم الخليفة المهدي بن المنصور العباسي،ثم السلطان قايتباي، ثم السلطان عبد المجيد العثماني، ثم الملك عبد العزيز آل السعود، ثم التوسعة الكبرى قام بها الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود رحم الله الجميع وأجزل لهم المثوبة»[1].

***

(١) انظر مطوية «مخطط توسعات المسجد النبوي» بتصرف يسير.

الحجرة الشريفة

«إن حجرة عائشة رضي الله عنها، هي أول ما بَنَى النبي صلى الله عليه وسلم من بُيوته بعد بناء المسجد، وتقع هذه الحجرة شرقي المسجد النبوي، ويفتح بابها على الروضة الشريفة.

ولما توفي النبي صلى الله عليه وسلم كان في حجرة عائشة رضي الله عنها؛ لأنه صلى الله عليه وسلم استأذن من نسائه أن يُمَرَّض في حجرة عائشة رضي الله عنها، وتقول عائشة رضي الله عنها: «إنه صلى الله عليه وسلم قبض ورأسه بين سَحْري ونَحْري»[1].

وبعد ذلك تبادل الصحابة الرأي في المكان الذي يدفن فيه الرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال الصديق رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قَبَضَ اللهُ نبياً، إلا في الموضع الذي يُحب أن يدفن فيه»[2].

فَأُلْحِدَ [3] قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فَدُفِنَ صلى الله عليه وسلم، ثم

---

(١) رواه البخاري برقم (٨٩٠)، ومسلم برقم (٢٤٤٣)، وقولها: «سحري» السحر هو الرئة وما يتعلق بها، وقولها: «نحري» قريب من موضع القلادة في الصدر؛ والمراد: أنه مات في حجرها.

(٢) رواه الترمذي برقم (١٠١٨)، وابن ماجة برقم (١٦٢٨)، وصححه الألباني، انظر «أحكام الجنائز» (١٧٤).

(٣) اللحد: هو حفرة في جانب القبر من جهة القبلة، يوضع فيها الميت، ثم يُهَال عليه التراب في القبر.

سُوِّي التراب بارتفاع يسير عن سطح الأرض.

فأصبح النبي صلى الله عليه وسلم في قبره في جنوبي الحجرة الشريفة (في جهة القبلة).

وظلّت عائشة رضي الله عنها تسكن في القسم الشمالي منها، ليس بينها وبين القبر ساتر، فلما توفي الصديق رضي الله عنه، أذنت أن يدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم، فَحُفِرَ له القبر خلف قبر النبي صلى الله عليه وسلم بذراع، ورأسه مقابل كتفيه صلى الله عليه وسلم،فلما توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أَذِنَتْ له بأن يدفن مع صاحبيه، فحفر له قبره خلف قبر الصديق بذراع، ورأسه يقابل كتفي أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وبقيت عائشة رضي الله عنها في الحُجرة، ولكنها وضعت ساتراً بينها وبين القبور»[1].

ومن المشروع إذا زرْتَ قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما، أن تقول كما كان عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقول: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه»، ولا يزيد على ذلك، ثم ينصرف[2].

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٦٧-٦٩) بتصرف.

(٢) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣/ ٥٧٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣/ ٢٢٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٤٥)، وصححه الألباني، انظر «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» لإسماعيل القاضي، برقم (١٠٠).

ونحن نقول بدل: «السلام عليك يا أبتاه»، «السلام عليك يا عمر».

تنبيه: الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ، فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[1] ؛ أي: أن النبي صلى الله عليه وسلم تبلغه صلاتنا وسلامنا عليه بواسطة الملائكة؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن لله ملائكة سَيّاحين، يبلغوني عن أمتي السلام»[2].

إضافة إرشادية: زوروا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبيه رضي الله عنهما، وزوروا كل المقابر؛ كمقبرة البقيع، ومقبرة الشهداء، وغيرها، للتّعاظ، والتوبة، وتذكر الموت، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إني كنت نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها؛ فإنها تذكركم الآخرة»[3].

انتبه: هاهم أشرف القوم قد ماتوا، فمصيرنا إلى ما صاروا إليه....، اللهم أحسن خاتمتنا.

* * *

---

(١) رواه أبو داود برقم (٢٠٤٢)، وصححه الألباني، انظر «تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد» (٩٥)، فاقرأه فإنه كتاب مهم جداً، وقوله: «عيداً» العيد: ما يعاد إليه؛ أي: لا تعودون إلى قبري متى أردتم أن تصلوا أو تسلموا عليّ.

(٢) رواه أحمد (١/ ٤٤١ و ٤٥٢) وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (٢٨٥٣).

(٣) رواه مسلم برقم (٩٧٧)، وأحمد (١/ ١٤٥) واللفظ له.

البقيع

هي الأرض الرخوة الخالية من الحجارة، وهذا النوع من الأرض معهود لجعل المقابر فيه، وفي المدينة النبوية كثير من ذلك؛ مثل بقيع الخيل، وبقيع الزبير، وغيرهما، ولكن هذه اللفظة أصبحت علماً بالغَلَبة على مقبرة المدينة النبوية، التي تقع شرقي المسجد النبوي.

وورد في فضل البقيع عدة أحاديث، أذكر منها؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن جبريل أتاني؟، فقال: إن ربك يأمرك، أن تأتي أهل البقيع، فتستغفر لهم»[(١)].

وقوله صلى الله عليه وسلم -حين دخل البقيع-: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وأتاكم ما توعدون غداً مُؤَجَّلُون، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، اللهم اغفر لأهل بقيع الغرقد[(٢)]»[(٣)].

وقد دفن فيه نحو عشرة آلاف من الصحابة، لا تُعرف أماكنهم إلا ما ذكر من قبور بعضهم؛ أذكر منهم: عثمان بن عفان رضي الله عنه، وجميع أمهات المؤمنين، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، إلا خديجة وميمونة؛ فخديجة دفنت في مكة،

---

(١) مسلم برقم (٩٧٤) (١٠٣).

(٢) سمي بذلك؛ لأنه كان فيه غرقد؛ وهو نوع من شجر الشوك.

(٣) رواه مسلم برقم (٩٧٤) (١٠٢).

تنبيه: يشرع عند دخول مقبرة البقيع أن تدعو بمثل ما دعا به النبي صلى الله عليه وسلم.

وميمونة في سَرِف، وفاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم، وعم النبي صلى الله عليه وسلم العباس، وعمته صفية، والحسن بن علي بن أبي طالب، وعلي زين العابدين بن الحسين، وابنه محمد الباقر، وحفيده جعفر الصادق، وأيضاً إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وعثمان بن مظعون، وغيرهم كثير»[1].

وهي الآن تضم مئات الآلاف من رُفات أهل المدينة، ومَن توفي من الزائرين.

رضي الله تعالى عن أمهات المؤمنين، والصحابة أجمعين، وآل البيت الطيبين، ورحم الله جميع أموات المسلمين.

* * *

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (١١٠ – ١١٥) بتصرف.

مسجد قُباء

«إن منطقة قُباء هي أول منطقة سكن فيها المهاجرون، بعد قدومهم من مكة» وفيها بُنِيَ أول مسجد في الإسلام على وجه الأرض.

«ومسجد قُباء هو أول مسجد صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم بأصحابه صلاة الجمعة جهراً، وكانت قبلته إلى بيت المقدس»[1].

وجاء في فضل الصلاة في مسجد قباء؛ قول النبي صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[2]، وفي رواية أخرى: «من تطهر في بيته، ثم أتى مسجد قباء، فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»[3].

وكان صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً، فيصلي فيه ركعتين[4].

وكان ابن عمر رضي الله عنه يأتي قباء كل سبت، ويقول: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت[5].

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (١١٧).

(٢) رواه الترمذي برقم (٣٢٤)، وابن ماجة برقم (١٤١١)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٣٨٧٢).

(٣) رواه ابن ماجة برقم (١٤١٢)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٦١٥٤).

(٤) رواه البخاري برقم (١١٩١)، ومسلم برقم (١٣٩٩) (٥١٦).

(٥) رواه البخاري برقم (١١٩٣)، ومسلم برقم (١٣٩٩) (٥٢٠).

وجاء في فضل أهل قباء، قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا﴾»[1].

وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور، فما بَلَغَ من طهوركم؟»، قالوا: نستنجي بالماء[2].

* * *

---

(١) رواه أبو داود برقم (٤٤)، والترمذي برقم (٣١٠٠)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (٦٧٦٠).

(٢) رواه أحمد (٣/ ٤٢٢). وحسنه الألباني، انظر «صحيح سنن أبي داود» (١/ ٧٥).

فتوى مُهِمّة
في
حُكْمِ زيارة المواقع والمساجد الأثرية

السؤال: أرجو من فضيلتكم التكرم بالإجابة على السؤال التالي:

أولاً: ما حكم الشريعة الإسلامية، فيمن يأتي المدينة المنورة، ليصلي في المسجد النبوي الشريف، ثم يذهب إلى مسجد قباء، ومسجد القبلتين، ومسجد الجمعة، ومسجد المصلى، ومسجد الغمامة، ومسجد الصديق، ومسجد علي رضي الله عنهما..، وغيرها من المساجد الأثرية، وبعد دخوله فيها يصلي ركعتي التحية، فهل يجوز له ذلك أم لا؟.

ثانياً: بعدما يصل الزائر في المسجد النبوي الشريف، هل له أن ينتهز الفرصة للذهاب إلى المساجد الأثرية بالمدينة النبوية، بِنِيّة الاطلاع والتأمل في تاريخ السلف الصالح، والدراسة التطبيقية للمعلومات التي قرأها في كتب التفسير والحديث والتاريخ، تجاه الغزوات، ومساكن القبائل من الأنصار؟.

أرجو الإفادة.

الجواب: إن الجواب على هذين السؤالين يقتضي البيان في التفصيل الآتي:

أولاً: باستقراء المساجد الموجودة في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة حرسها الله تعالى تبين أنها على أنواع؛ هي:

النوع الأول: مسجد في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، ثبتت له فضيلة بخصوصية، وهو مسجدان لا غير:

أحدهما: مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو داخل من باب أولى في قول الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[1].

وهو ثاني المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال، كما ثبتت السنة بذلك، وثبت أيضاً في السنة الصحيحة الصريحة، أن صلاة فيه خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام.

ثانيهما: مسجد قباء؛ وقد نزل فيه قول الله تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ﴾ الآية، وفي حديث أسيد بن حضير الأنصاري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجد قباء كعمرة»[2]، رواه الترمذي وابن ماجة وغيرهما، وعن سهل بن حنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة، كان له كأجر عمرة»[3] رواه أحمد والنسائي وابن ماجة وغيرهم وهذا لفظ ابن ماجة.

---

(١) سورة التوبة: ١٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي (٢/ ١٤٦) برقم (٣٢٤)، وابن ماجة (١/ ٤٥٢) برقم (١٤١١)، وابن أبي شيبة (٢/ ٣٧٣، ١٢/ ٢١٠)، وأبو يعلى (١٣/ ١١٧) برقم (٧١٧٢)، والطبراني (١/ ٢١٠) برقم (٥٧٠)، والحاكم (١/ ٤٨٧)، والبيهقي (٥/ ٢٤٨).

(٣) سنن النسائي «المساجد» (٦٩٩)، سنن ابن ماجة «إقامة الصلاة والسنة فيها»=

النوع الثاني: مساجد المسلمين العامة في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، فهذه لها ما لعموم المساجد، ولا يثبت لها فضل يخصها.

النوع الثالث: مسجد بُني في جهة كان النبي صلى الله عليه وسلم فيها، أو أنه هو عين المكان الذي صلى فيه تلك الصلاة، مثل مسجد بني سالم، ومصلى العيد، فهذه لم يثبت لها فضيلة تخصها، ولم يرد ترغيب في قصدها وصلاة ركعتين فيها.

النوع الرابع: مساجد بدعية محدثة نُسِبَت إلى عصر النبي صلى الله عليه وسلم وعصر الخلفاء الراشدين، واتُخِذَت مزاراً؛ مثل المساجد السبعة،ومسجد في جبل أُحد وغيرها، فهذه مساجد لا أصل لها في الشرع المطهر، ولا يجوز قصدها لعبادة ولا لغيرها، بل هو بدعة ظاهرة.

والأصل الشرعي: أن لا نَعْبُد إلا الله، وألاّ نعبد الله إلا بما شرع على لسان نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه بالرجوع إلى كتاب الله، وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وكلام سلف الأمة الذين تلقوا هذا الدين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبلّغوه لنا عنه، وحذرونا من البدع، امتثالاً لأمر البشير النذير عليه الصلاة والسلام؛ حيث يقول في هذا الحديث الصحيح: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد»[1]، وفي لفظ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ»[2]، وقال عليه السلام: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين من

=(١٤١٢)، مسند أحمد (٣/ ٤٨٧).

(١) صحيح مسلم «الأقضية» (١٧١٨)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٨٠).

(٢) صحيح البخاري «الصلح» (٢٦٩٧)، صحيح مسلم «الأقضية» (١٧١٨)، سنن أبي=

بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كـل محدثـة بدعـة، وكل بدعة ضلالة»[1]، وقال: «اقتدوا باللذين مـن بعـدي: أبي بكـر وعمـر »[2]، وقال عليه السلام عندما طلب منه بعض الصحابة أن يجعل لهم شـجرة يتبركـون بها، ويعلقون بها أسلحتهم، قال: «الله أكبر، إنها السنن، قُلْتم والذي نفسي بيـده، كما قالت بنو إسرائيل لموسى»[3] [4]، وقال صلى الله عليه وسلم: «افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحـدة» قيـل: مـن هـي يـا رسول الله؟، قال: «من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي» [5]، ونقـل ابـن

=داود «السنة» (٤٦٠٦)، سـنن ابـن ماجـة «المقدمـة» (١٤)، مـسند أحمـد بـن حنبـل (٦/ ٢٥٦).

(١) سنن الترمذي «العلـم» (٢٦٧٦)، سـنن أبي داود «الـسنة» (٤٦٠٧)، سـنن ابـن ماجـة «المقدمة» (٤٤)، مسند أحمد (٤/ ١٢٦)، سنن الدارمي «المقدمة» (٩٥).

(٢) أخرجـه أحمـد (٥/ ٣٨٢)، والترمـذي (٥/ ٦٠٩٠) بـرقم (٣٦٦٢)، والبـزار «البحـر الزخار» (٧/ ٢٤٨) برقم (٢٨٢٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار») (٣/ ٢٥٦-٢٥٩) برقم (١٢٢٤-١٢٣٣)، والطبراني في «الأوسط» (٤/ ٤٨٧) برقم (٣٨٢٨)، والبغـوي (١٤/ ١٠١) برقم (٣٨٩٤، ٣٨٩٥).

(٣) سنن الترمذي «الفتن» (٢١٨٠)، مسند أحمد (٥/ ٢١٨).

(٤) في سورة الأعراف الآية: ١٣٨؛ ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾.

(٥) سنن الترمذي «الإيمان» (٢٦٤٠)، سـنن أبي داود «الـسنة» (٤٥٩٦)، سـنن ابـن ماجـة «الفتن» (٣٩٩١)، مسند أحمد بن حنبل (٢/ ٣٢٢).

وضاح (ص٩) في كتابه: «البدع والنهي عنها» بسنده عن ابن مسعود رضي الله عنه، أن عمرو بن عتبة وأصحاباً له، بنوا مسجداً بظهر الكوفة، فأمر عبد الله بذلك المسجد فهُدِمَ، ثم بَلَغَه أنهم يجتمعون في ناحية من مسجد الكوفة يسبحون تسبيحاً معلوماً، ويهللون تهليلاً، ويكبرون، قال: فلبس بُرْنُساً، ثم انطلق فجلس إليهم، فلما عرف ما يقولون، رفع البرنس عن رأسه، ثم قال: أنا أبو عبد الرحمن، ثم قال: لقد فَضَلْتُم أصحاب محمد عِلْمَاً، أو لقد جئتم ببدعة ظلماً... الخ.

وحذَّر هو وغيره من الابتداع، وحثوا الناس على اتباع مَن سلف، وثبت أن عمر رضي الله عنه قطع الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بيعةَ الرضوان تحتها، لما رأى بعض الناس يذهبون إليها، ولما رأى الناس يذهبون مذهباً سأل عنهم؟، فقيل له: يذهبون يصلون في مكان صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في الطريق الحج، غضب وقال: إنما هلك من كان قبلكم، بتتبع آثار أنبيائهم. ا هـ.

ومعلوم أن الهدف من بناء المساجد جمع الناس فيها للعبادة، وهو اجتماع مقصود في الشريعة، ووجود المساجد السبعة في مكان واحد لا يحقق هذا الغرض، بل هو مدعاة للافتراق المنافي لمقاصد الشريعة، وهي لم تُبْنَ للاجتماع، لأنها متقاربة جداً، وإنما بُنِيَتْ للتبرك بالصلاة فيها والدعاء، وهذا ابتداع واضح.

أما أصل هذه المساجد بهذه التسمية؛ أي: المساجد السبعة، فليس له سند تاريخي على الإطلاق، وإنما ذكر ابن زبالة مسجد الفتح، وهو رجل كذاب، رماه بذلك أئمة الحديث، مات في آخر المئة الثانية، ثم جاء بعده ابن شبة المؤرخ

وذكره، ومعلوم أن المؤرخين لا يهتمون بالسند وصحته، وإنما ينقلون ما يَبْلُغهم، ويجعلون العهدة على من حَدّثهم، كما قال ذلك الحافظ الإمام ابن جرير في «تاريخه»، أما الثبوت الشرعي لهذه التسمية أو لمسجد واحد منها فلم يعرف بسند صحيح، وقد اعتنى الصحابة بنقل أقوال الرسول عليه السلام وأفعاله، بل نقلوا كل شيء رأوا النبي صلى الله عليه وسلم يفعله، حتى قضاء الحاجة، ونقلوا إتيان النبي صلى الله عليه وسلم لمسجد قباء كل أسبوع، وصلاته على شهداء أُحد قبل وفاته كالمودع لهم، على غير ذلك مما امتلأت به كتب السنة، أما هذه المساجد فقد بحث الحفاظ والمؤرخون عن أصول تسميتها، فقال العلامة السمهودي رحمه الله: «لم أقف في ذلك كله على أصل»[1]، وقال بعد كلام آخر: «مع أني لم أقف على أصل في هذه التسمية، ولا في نسبة المسجدين المتقدمين في كلام المطري»[2].

أما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فيقول: «والمقصود هنا: أن الصحابة والتابعين لهم بإحسان لم يبنوا قط على شيء من آثار الأنبياء، مثل مكان نزل فيه، أو صلى فيه، أو فعل فيه شيئاً من ذلك، لم يكونوا يقصدون بناء مسجد لأجل آثار الأنبياء والصالحين، بل إن أئمتهم كعمر بن الخطاب وغيره ينهون عن قصد الصلاة في مكان صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم اتفاقاً لا قصداً، وذكر أن عمر وسائر الصحابة من الخلفاء الراشدين عثمان وعليّ وسائر العشرة

---

(١) «وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى»، للسمهودي (٣/ ٨٣٧).

(٢) «خلاصة الوفا بأخبار دار المصطفى» للسمهودي (ص٣٩٠)، طبعة المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ١٣٩٢هـ.

وغيرهم مثل ابن مسعود ومعاذ بن جبل وأُبَيّ بن كعب، لا يقصدون الصلاة في تلك الآثار»، ثم ذكر شيخ الإسلام: «أن في المدينة مساجد كثيرة، وأنه ليس في قصدها فضيلة، سوى مسجد قباء، وأن ما أُحْدِث في الإسلام مِن المساجد والمشاهد على القبور والآثار، من البدع المحدثة في الإسلام، مِن فعل مَن لم يعرف شريعة الإسلام، وما بعث الله به محمداً صلى الله عليه وسلم من كمال التوحيد، وإخلاص الدين لله، وسد أبواب الشرك التي يفتحها الشيطان لبني آدم».اهـ.

وقد ذكر الشاطبي في كتابه «الاعتصام»: أن عمر رضي الله عنه، لما رأى أُناساً يذهبون للصلاة في موضع صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، قال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا؛ يتَّبَّعون آثار أنبيائهم، فاتخذوها كنائس وبيَعاً» وقال أيضاً: قال ابن وضاح: «وقد كان مالك يكره كل بدعة، وإن كانت في خيرٍ، لِئَلاَّ يُتَّخَذُ سُنَّة ما ليس بسنة، أو يُعَدّ مشروعًا ما ليس معروفاً».اهـ.

وقال الشاطبي أيضاً رحمه الله: وسئل ابن كنانة عن الآثار التي تركوا في المدينة، فقال: أثبت ما عندنا قباء...الخ.

وقد ثبت أن عمر رضي الله عنه، قطع الشجرة التي رأى الناس يذهبون للصلاة عندها، خوفاً عليهم من الفتنة، وقد ذكر عمر بن شبة في «أخبار المدينة» وبعده العيني في «شرح البخاري» مساجد كثيرة، ولكن لم يذكروا المساجد السبعة بهذا الاسم.

وبهذا العرض الموجز يُعْلَم أنه لم يثبت بالنقل وجود مساجد سبعة،بل ولا ما يسمى بمسجد الفتح، والذي اعتنى به أبو الهيجاء وزير العبيديين المعروف

مذهبهم، وحيث أن هذه المساجد صارت مقصودة من كثير من الناس لزيارتها، والصلاة فيها، والتبرك بها، ويضلل بسببها كثير من الوافدين، لزيارة مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، فقصدها بدعة ظاهرة، وإبقاؤها يتعارض مع مقاصد الشريعة، وأوامر المبعوث بإخلاص العبادة لله، وتقضي بإزالتها سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث قال: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ»[1]؛ فتجب إزالتها درءاً للفتنة، وسداً لذريعة الشرك، وحفاظاً على عقيدة المسلمين الصافية، وحماية لجَنَاب التوحيد، اقتداء بالخليفة الراشد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حيث قطع شجرة الحديبية لما رأى الناس يذهبون إليها، خوفاً عليهم من الفتنة، وبَيَّنَ أن الأمم السابقة هلكت بتتبعها آثار الأنبياء التي لم يُؤمروا بها، لأن ذلك تشريع لم يأذن به الله. انتهى.

ثانياً: ومما تقدم يُعْلَم أن توجه الناس إلى هذه المساجد السبعة وغيرها من المساجد المحدثة لمعرفة الآثار، أو للتعبد والتّمَسّح بجدرانها ومحاريبها، والتبرك بها بدعة، ونوع من أنواع الشرك، شبيه بعمل الكفار في الجاهلية الأولى بأصنامهم، فيجب على كل مسلم ناصح لنفسه ترك هذا العمل، ونصح إخوانه المسلمين بتركه.

ثالثاً: وبهذا يُعْلَم أن ما يقوم به بعض ضعفاء النفوس من التغرير بالحجاج والزُّوّار، وحملهم بالأجرة إلى هذه الأماكن البدعية، كالمساجد السبعة، هو عمل

---

(١) صحيح مسلم «الأقضية» (١٧١٨)، مسند أحمد بن حنبل (٦/ ١٨٠).

محرم، وما يأخذ في مقابله من المال، كسب حرام، فيتعين على فاعله تركه، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[1].

وبالله التوفيق، صلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، الفتوى رقم (١٩٧٢٩).

عضو	عضو	عضو
بكر أبو زيد	صالح الفوزان	عبد الله بن غديان

نائب الرئيس	الرئيس
عبد العزيز آل الشيخ	عبد العزيز بن عبد الله بن باز

* * *

(١) سورة الطلاق: ٢-٣.

المساجد التي نُقِلَ[1] أن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم صلوا فيها، في المدينة سوى المسجد النبوي ومسجد قُباء

■ المساجد السبعة:

وهي سبعة مساجد صغيرة، تقع في الجهة الغربية من جبل سَلْع، عند جزء من الخندق الذي حفره النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، في غزوة الأحزاب.

وهذه المساجد يُعْتَقَدُ أنها مواقع مرابطة الجيش في غزوة الأحزاب.

وقيل: سُمِّيَ كل مسجد باسم مَن رابط في هذه الغزوة؛ وهي كالتالي:

١ – مسجد الفتح.

٢ – مسجد سلمان الفارسي.

٣ – مسجد أبي بكر الصديق.

٤ – مسجد عمر بن الخطاب.

٥ – مسجد عثمان بن عفان.

٦ – مسجد علي بن أبي طالب.

٧ – مسجد فاطمة.

---

(١) هذا النقل قد يكون صحيحاً، أو غيرَ صحيح، ولكنه اشْتُهِرَ بما ذكر عنه، وانظر الفتوى السابقة؛ فإنها مهمة في هذا الموضوع.

تنبيه: قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء: «أصل هذه المساجد بهذه التسمية، ليس له سند تاريخي على الإطلاق».

وانظر الفتوى السابقة.

■ مسجد الجمعة:

ويُسَمَّى: مسجد الوادي، أو مسجد عاتكة، أو مسجد القَبِيب.

وَيبْعُد هذا المسجد عن قباء (٥٠٠) متراً تقريباً، وهو إلى الشمال منه، وهو مسجد صغير مكتوب عليه«مسجد الجمعة».

وقيل: إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما وصل قباءً مهاجراً، أقام في قباء عدة أيام، ثم خرج منها ضحى يوم الجمعة إلى المدينة، فأدركته صلاة الجمعة، هو ومَن معه، في موضع يُسمى القَبيب، فصلى فيه الجمعة، فكانت أول جمعة يصليها النبي صلى الله عليه وسلم.

■ مسجد بني معاوية، ويُسمى أيضاً مسجد الإجابة:

هو مسجد بني معاوية بن مالك بن عوف، من الأوس.

يقع شمال البقيع، غير بعيدٍ، واشتهر بمسجد الإجابة؛ لما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مَرّ بمسجد بنى معاوية، دخل فركع فيها ركعتين، وصلى معه أصحابه، ودعا رَبَّهُ طويلاً، ثم انصرف إلى أصحابه، فقال صلى الله عليه وسلم: «سألتُ ربي ثلاثاً؛ فأعطاني ثنتين، ومنعني واحدة ؛ سألتُ ربي أن لا يُهلك أمتي بالسَّنَة؛ فأعطانِيها، وسألته أن لا يُهلك أمتي

بالغرق؛ فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بَأْسهم بينهم؛ فمنعنيها»[1].

مسجد الغمامة، ويسمى مسجد المصلى :

سُمِّي بالغمامة؛ لما يُقال من أن غمامة حجبت الشمس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند صلاته فيه.

ويقع هذا المسجد في الجهة الغربية للمسجد النبوي الشريف؛ أي: من جهة باب السلام.

وقيل: إن أكثر صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العيدين كان في مكان هذا المسجد.

مسجد القبلتين:

يقع هذا المسجد في الجهة الغربية من مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويبعد عنه (٥) كيلو تقريباً.

وسبب تسميته بهذا الاسم؛ هو ما جاء عن البراء بن عازب رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو على أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وكان يعجبه أن تكون قِبلته قِبَل البيت، وأنَّه صلى أول صلاة صلاها –أي: إلى مكة–، صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل مِمَّن صلى معه، فَمَرَّ على أهل

---

(١) رواه مسلم برقم (٢٨٩٠)، وقوله: «من العالية» هي ما كان من الحوائط والقرى والعمارات من جهة المدينة العُليا مما يلي نجداً، وقوله: «السَّنَة» أي: الجدب والقحط.

مسجد وهم راكعون، فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت...[(١)].

تنبيه: لم يثبت بحديث صحيح، أن النبي صلى الله عليه وسلم هو الذي صلى صلاة واحدة إلى القبلتين، والذي ثبت هو ما في الحديث السابق.

■ مسجد البُحَير، المعروف بمسجد أبي ذر:

البحير: تصغير بحر، وهو اسم لبستان، يقع في طرفه المسجد، ويقع في الجهة الشمالية من المسجد النبوي.

وقيل: اسمه مسجد السجدة، لما جاء عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، أنه قال: كنت قائماً في رحبة المسجد، فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجاً من الباب الذي يلي المقبرة، فلبثت ملياً، ثم خرجت على أثره، فرأيته قد دخل حائطاً من الأسواق، فتوضأ ثم صلى ركعتين، فسجد سجدةً، أطال السجود فيها، فلما تَشَهَّد رسول الله صلى الله عليه وسلم تَبَدّأْتُ له، فقلت له: بأبي أنتَ وأمي، حين سجدت أشفقتُ أن الله قد توفاك، من طولها، فقال: «إن جبريل عليه السلام بشرني أنه من صلى عليَّ، صلى الله عليه، ومن سَلّم عليَّ، سَلّم الله عليه»[(٢)].

---

(١) رواه البخاري برقم (٤٠)، ومسلم برقم (٥٢٥).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢١٠)، وصححه الألباني، انظر «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» برقم (١٠).

تنبيه: قال الشيخ غالي محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله: «وقد أصبح هذا المسجد اليوم معروفاً بمسجد أبي ذر، وهي تسمية لا أعرف لها أصلاً»[1].

■ مسجد الفضيخ، ويُسمى مسجد النخل:

الفضيخ: هو شراب يُتَّخذ من البُسْر – أي: التمر قبل إرطابه –، المَفْضُوخ – أي: المكسور–، والمراد هنا: غير المسكر.

ورُوِيَ حديث ضعيف عن ابن عمر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أُتِيَ بفضيخ في مسجد الفضيخ فشربه، فلذلك سمي مسجد الفضيخ [2].

ويقع هذا المسجد في الجهة الشرقية من مسجد قباء.

■ مسجد بني قريظة:

هو المكان الذي صلى فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم، أيام محاصرتهم لبني قريظة، وعدد هذه الأيام خمس وعشرون يوماً.

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، قال: نزل أهل قريظة على حكم سعد بن معاذ رضي الله عنه، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سَعْدٍ، فأتاه على حمار، فلما دنا قريباً من المسجد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قوموا إلى سيدكم»، فقال: «إن هؤلاء نزلوا على حكمك» قال: فإني أحكم فيهم أن تُقتل مُقَاتِلَتُهم، وتُسْبَى ذُرِّيَّتهم، قال صلى الله عليه وسلم: «حكمت بحكم الله» [3].

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (ص١٧٠).

(٢) رواه أحمد (٢/ ١٠٦) بإسناد ضعيف.

(٣) رواه البخاري (٣٠٤٣)، ومسلم برقم (١٧٦٨)، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله:=

■ مسجد الشهداء:

هو بالقرب من مقبرة شهداء أُحد.

ويظن أنه المكان الذي كان يصلي فيه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قبل المعركة.

■ مسجد ذي الحُلَيْفة، ويسمى أيضاً مسجد الميقات، ومسجد الشجرة:

الحليفة: تصغير حَلْفاء؛ وهو نبت معروف في تلك المنطقة، وذو الحليفة ماء من مياه بني جُشَم، ثم سُمِّي به الموضع.

وهو الذي يُحْرِم منه الحاج أو المعتمر الخارج من المدينة، ولذلك سُمِّيَ مسجد الميقات؛ أي: ميقات أهل المدينة، ومن جاء منها من غير أهلها.

وهو مبني على موضع الشجرة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم صَلَّى إليها، وكانت سَمُرة[1]، وبها سُمِّي مسجد الشجرة.

وتبلغ المسافة بينه وبين المسجد النبوي (١٣) كيلو تقريباً، ويقع غربي المدينة النبوية، وتبلغ المسافة بينه وبين مكة المكرمة (٤٢٠) كيلو تقريباً.

وجاء عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: بات رسول الله صلى الله

=«قوله: (من المسجد) أي: الذي أعده النبي صلى الله عليه وسلم أيام محاصرته لبني قريظة للصلاة فيه». انظر «الفتح» (٧/ ١٢٤).

(١) هي شجرة من الطلح، وهو العظيم من الأشجار التي لها شوك، وهو كثير الورق.

عليه وسلم بذي الحُلَيفة مَبْدَأه، وصلى في مسجدها[١].

وجاء عنه رضي الله عنه قوله: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر، وفي حَجَّتِهِ حين حَجَّ، تحت سَمُرة في موضع المسجد الذي بذي الحُليفة، وكان إذا رجع من غَزوٍ، كان في تلك الطريق، أو حج أو عُمرة، هبط من بطن وادٍ، فإذا ظهر من بطن وادٍ، أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية، فَعَرَّس ثَمَّ حتى يُصبح، ليس عند المسجد الذي بحجارة، ولا على الأَكَمَة التي عليها المسجد[٢].

■ مسجد المُعَرَّس:

المعرس: هو موضع النزول عند آخر الليل.

وهو بالقرب من مسجد ذي الحُليفة، من جهة قِبْلَته، بينهما رمية سهم.

فعن ابن عمر رضي الله عنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى في مُعَرَّسِه بذي الحُليفة، فقيل له: إنك ببطحاء مباركة[٣].

---

(١) رواه مسلم برقم (١١٨٨)، وقوله: «مبدأه» أي: في ابتدائه الحج.

(٢) رواه البخاري برقم (٤٨٤)، ومسلم (١٢٥٧)، وقوله: «كان في تلك الطريق» أي: طريق ذي الحليفة، وقوله: «بطن واد» أي: وادي العقيق، وقوله: «أناخ» أي: أبرك راحلته، وقوله «البطحاء»: هي ما انبطح واتسع من بطن الوادي، وقوله: «شفير» أي: طرف، وقوله: «فعرس» أي: نزل عند آخر الليل، وقوله: «ثم» بفتح المثلثة؛ المراد به الجهة، وقوله «الأكمة» هو الموضع المرتفع على ما حوله.

(٣) رواه البخاري برقم (١٥٣٥)، ومسلم برقم (١٣٤٦).

تنبيه: والـذي يظهـر أن هـذا المـسجد، ومـسجد ذي الحُليفـة، همـا في وادي العقيق، الوادي المبارك، الذي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه: «أتـاني آت من ربي عز وجل، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة»[1].

وقد بوب البخاري في كتابه «الجامع المسند الصحيح»: «باب قول النبي صـلى الله عليه وسلم: «العقيقُ وادٍ مباركٌ»».

قـال الحـافظ ابـن حجـر العـسقلاني في كتابـه «فـتح البـاري شرح صـحيح البخاري»[2]: «ليس هو من قول النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما حكاه عن الآتي الذي أتاه».

إذن فمن صلى في أَيّ مسجد منهما، فقد صلى في الوادي المبارك.

ملاحظة: يوجد مساجد أخرى كثيرة، ينقل أن النبي صـلى الله عليـه وسلم وأصحابه صلوا فيها، ولكني اكْتَفَيْتُ بذكر أَبْرَزِها وأشهرها.

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري برقم (١٥٣٤).

(٢) انظر (٣/ ٣٩٢).

وادي العقيق

«يعد وادي العقيق من أشهر أودية المدينة النبوية، إن لم يكن أشهر أودية الجزيرة العربية على الإطلاق.

إن هذا الوادي من أطيب مناطق المدينة ماء وهواء، وحسبك في هذا حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بوادي العقيق: «أتاني الليلة آتٍ من ربي، فقال: صَلِّ في هذا الوادي المبارك، وقل: عمرة في حجة[1]»[2].

«ويقع وادي العقيق غربي المدينة النبوية، حيث تنتهي إليه حَرّتها الغربية، وبدايته من الجنوب حَرّة بنى سُلَيْم، على بعد (٢٢٠) كيلومتراً تقريباً، وينتهي مُسَمّاه في الغابة، شمالي المدينة النبوية، بنحو (٢٨) كيلومتراً تقريباً، حيث يوجد الآن سد ضخم بعد الخُلَيل.

والصحيح أن أول من سَمَّاه عَقِيقاً، تُبَّعٌ ملك اليمن، لما رآه وقد شق الحَرّة وعَقَّهَا، فَسَمَّاه عَقِيقاً»[3].

وفيه بئر رُوْمَة؛ وهي مشهورة ببئر عثمان؛ لأنه اشتراها فتصدق بها.

ويروى في قصة شرائه البئرَ، عِدّة أحاديث صحيحة وضعيفة، أذكر منها، قول

---

(١) رواه البخاري برقم (١٥٣٤).

(٢) انظر «المعالم الأثيرة في السنة والسيرة» (١٩٦).

(٣) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٢٤١).

رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن يشتري بئر رُوْمَـة، فيجعـل دَلْـوَه مـع دِلاَء المسلمين، بخيرٍ له منها في الجنة»، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه[1].

وجاء: أن المهاجرين لما قدموا المدينة استنكروا الماء، وكانت لرجـل مـن بنـي غِفَار عَيْنٌ؛ يقال لها: رُوْمَة، وكان يبيع منها القربة بِمُدٍّ، فقال له رسـول الله صـلى الله عليه وسلم: «بِعْنِيْهَا بِعَيْنٍ في الجنة»، فقال: يا رسـول الله، لـيس لي ولا لعيـالي غيرها، لا أستطيع ذلك، فبلـغ ذلـك عـثمان رضي الله عنـه، فاشـتراها بخمـسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي صلى الله عليـه وسـلم، فقـال: يـا رسـول الله، أتجعل لي مثل الذي جعلتَه له؛ عيناً في الجنـة إن اشـتريتها؟، قـال صـلى الله عليـه وسلم: «نعم»، قال رضي الله عنه: قد اشتريتها وجعلتها للمسلمين[2].

ورُوِيَ: أن بئر رُوْمَة رَكِيَّة[3] ليهودي، يبيع المسلمين ماءهـا، فاشـتراها عـثمان بعشرين ألف درهم، فجعلها للغني والفقير وابن السبيل[4].

تنبيه: هاتان القصتان لم تثبتا بأسـانيد صـحيحة، وأمـا شراء عـثمان رضي الله عنها بئر رُوْمَة فثابت ومشهور.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٧٠٣)، والنسائي (٦/ ٢٣٥)، وصححه الألباني، انظر «صـحيح سنن النسائي» (٢/ ٧٦٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٢٢٦)و بإسناد فيه عبد الأعلى بن أبي المُـسَاوِر، وهو ضعيف.

(٣) أي: بئر.

(٤) لا أصل لها.

وفيه ذو الحليفة[1]؛ وهي قرية غربي المدينة على طريق مكة، تبعد عن المسجد النبوي (١٣) كيلو متراً تقريباً، وفيها المكان الذي حدده النبي صلى الله عليه وسلم ميقاتاً لأهل المدينة، ومن جاء منها من غير أهلها، وقد بُنِي عليه مسجد؛ يعرف بمسجد ذي الحُليفة.

وفيه – أي: وادي العقيق – معالم كثيرة، يطول ذكرها، فأكتفي بما ذكرتُ لاشتهاره.

***

(١) قد مر قريباً توضيحٌ لمعنى هذه الكلمة.

جبل أحـد

«جبل أُحد جبل كبير، يقع شمالي المدينة النبوية.

وسبب تسميته بجبل أُحد؛ قيل: لتوحده عن الجبال؛ لأنه محاط بالسهول والأودية، وقيل: إن رجلاً من العمالقة اسمه أُحد، هو أول من سكن فيه، وقيل: ليرمز إلى وحدانية الله تعالى.

وجبل أُحد لونه أحمر، له قمم عِدَّة، يُخَيَّل إلى الناظر إليه أنه عِدَّة جبال بسبب تعدد هذه القمم.

وهو داخل في حرم المدينة بالاتفاق» [1].

وجاء في فضله: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أُحد جبل يُحبنا ونحبه»[2].

ولما وقف عليه النبي صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم، اهتز جبل أُحد؛ فقال صلى الله عليه وسلم له: «أُثبت أُحد؛ إنما عليك نبي وصِدِّيق وشهيدان»[3].

■ غزوة أُحد :

كانت غزة أُحد في سنة ثلاث من الهجرة النبوية.

وهي غزوة من الغزوات الحاسمة في الإسلام، وكان لها أثر كبير على

---

(١) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (١٧٩).

(٢) رواه البخاري برقم (٤٠٨٣) ومسلم برقم (١٣٩٣).

(٣) رواه البخاري برقم (٣٦٧٥).

المسلمين، ولقد أنزل الله سبحانه وتعالى نحو ستين آية من سورة آل عمران [1] وآيات أخرى من سور عِدّة فيها، تتضمن الكثير من الدروس والعِظَات.

وأذكرها هنا باختصار:

«سبب غزوة أُحد؛ هو أن زعماء قريش ممن لم يُقْتَلُوا في غزوة بدر، اجتمع رأيهم على الثأر لقتلاهم في بدر، وأن يستعينوا بِعِير أبي سفيان، وما فيها من أموال لتجهيز جيش قوي، لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاجتمعت كلمة قريش على ذلك، وانضم إليهم غيرهم، واستعانوا بعدد كبير من النساء، كي يمنعن الرجال من الفرار، وخرجوا من مكة، وقد بلغوا ثلاثة آلاف مقاتل.

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخبر، فاستشار أصحابه، وخيَّرهم بين الخروج لملاقاتهم وقتالهم، والبقاء في المدينة؛ فإن دخلوا عليهم فيها قاتلوهم، فكان رأي بعض الشيوخ عدم الخروج من المدينة، وكان عبد الله بن أُبي ابن سَلُول من أصحاب هذا الرأي، غير أن كثيراً من الصحابة ممن لم يكن لهم شرف القتال في بدر رغبوا في الخروج، ولم يزالوا برسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وافقهم على ما أرادوا، فدخل بيته فلبس درعه وأَخذ سلاحه، وظن الذين أَلَحُّوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج، أنهم قد استكرهوه على ما لا يريد، فندموا على ما كان منهم، ولما خرج عليهم، قالوا: استكرهناك يا رسول الله، ولم يكن لنا ذلك، فإن شئت فاقعد؟!، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما

(١) انظر آيات (١٢١) إلى (١٧٩).

ينبغي لنبي إذا لبس لأْمَتَه[1] أن يضعها حتى يقاتل»[2].

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج من المدينة في ألف من المقاتلين، حتى إذا كانوا بين المدينة وأُحد، انخذل عبد الله بن أُبي ابن سلول بثلث الجيش، وَكَرّ راجعاً بهم، وهو يقول: «عصاني وأطاع الولدان ومن لا رأي له، وما ندري عَلاَمَ نَقْتُل أنفسنا؟!».

وعسكر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في الشِّعب[3] من أُحد، فجعل ظهور المسلمين إلى أُحد، واستقبلوا المدينة، وجعل على جبل عَيْنَيْنَ[4] -الذي هو خَلْفَ المسلمين- خمسين رامياً، وأَمّرَ عليهم عبد الله بن جبير رضي الله عنه، وقال لهم: «قوموا على مَصَافِّكم هذه، فاحموا ظهورنا، فإن رأيتمونا قد انتصرنا، فلا تُشْرِكُونا، وإن رأيتمونا نُقْتَل فلا تنصرونا»[5].

فاقتتل الناس، واشتدت الحرب، وكان في مقدمة المُبَارزين والمقاتلين أبو دُجانة، وحمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وكان معه اللواء، ثم قُتِلَ،

---

(١) أي: درعه.

(٢) رواه البخاري معلقاً؛ انظر «صحيحه» كتاب الاعتصام، باب «وأمرهم شورى بينهم»، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (١١٠٠).

(٣) هو الطريق في الجبل، أو الانفراج بين الجبلين.

(٤) وهو يعرف الآن بجبل الرُّماة، قرب أُحد، جبل صغير طوله (١٨٠) متراً، وعرضه (٥٠) متراً تقريباً.

(٥) انظر «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٢/ ٤٠).

فأخذه عليّ بن أبي طالب، فأنزل الله تعالى نصره على المسلمين، وفَرّ المشركون مُنْهَزِمين، فتكلم الرُّماة الذين كانوا على الجبل في النزول، واختلفوا فيما بينهم، فنزل كثير منهم، ظناً منهم بأن الحرب قد وضعت أوزارها، وراحوا يأخذون مع أصحابهم الغنائم، وبقي رئيسهم عبد الله بن جبير مع عدد يسير...

ولما رأى خالد بن الوليد خلاء الجبل من الرُّماة، كَرَّ راجعاً هو ومن معه، فحملوا على من بقي من الرماة فقتلوهم وأميرهم، وأخذوا يهجمون على المسلمين من الخلف، وحينئذ دَاخَل المسلمين الرعبُ، وصاروا يقاتلون على غير هُدى، وأوجع المشركون المسلمين، حتى وصلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فرموه بالحجارة، وأصيبت رباعيته[1]، وشُجّ وجهه، وجعل الدّم يسيل على وجهه، فيمسحه، وأثناء ذلك شاع: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قُتِل، وكانت هذه الشائعة من أشد ما أدخل الرعب في بعض قلوب المسلمين، وذهبوا يُوَلّون الأدبار، وظهرت صور التضحية والفداء ممن كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقدموا أرواحهم رخيصة دون رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى قُتِل معظمهم، ثم إن الحرب هَدَأَتْ بين الطرفين، وفرح المشركون بما حققوه وأحرزوه، وفزع المسلمون لِقَتْلاهم، وكانوا مئة إلا واحداً -ونقل أنهم كانوا سبعين رجلاً[2] -، وكان فيهم حمزة بن عبد المطلب، واليمان - والد

(١) هي السن المجاورة للناب.

(٢) جاء هذا عن أنس رضي الله عنه، رواه البخاري برقم (٤٠٧٨).

حُذيفة- وأنس بن النضر، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن حرام، وعبد الله بن جبير...، وغيرهم، وقد تأثر النبي صلى الله عليه وسلم لمقتلهم ومقتل عمه تأثراً كبيراً، ولقد مُثِّلَ بعمه؛ فبقر بطنه وقطع أَنفه وأذناه.

وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم يجمع بين الرجلين من القتلى في ثوب واحد، وأمر بدفنهم بدمائهم، ولم يُصَلِّ عليهم ولم يغسلوا، ثم أصبحت مقبرة تزار لتذكر الموت وللتعاظ، وهي تعرف إلى يومنا هذا بمقبرة الشهداء.

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه زارها هو وبعض أصحابه؛ فعن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نريد قبور الشهداء حتى إذا أشرفنا على حَرَّة وَاقِم، فلما تَدَلَّيْنَا منها؛ فإذا قبور بِمَحْنِيّة، فقلنا: يا رسول الله، أقبور إخواننا هذه؟، قال صلى الله عليه وسلم: «قبور أصحابنا»، فلما جئنا قبور الشهداء، قال صلى الله عليه وسلم: «هذه قبور إخواننا»[1].

(١) رواه أبو داود برقم (٢٠٤٣)، وصححه الألباني، انظر «صحيح سنن أبي داود» برقم (١٧٨١)، قوله: «أشرفنا» أي: صعدنا، وقوله: «حرة واقم» الحرة الأرض ذات الحجارة وواقم أطم من آطام المدينة -أي: حصن-، وقوله: «تدلينا» أي: هبطنا إلى الأسفل، وقوله:«بمحنية» أي: في منعطف الوادي، وقوله:«قبور أصحابنا....إلخ» أي: هؤلاء ليسوا هم الشهداء، ولكنهم غيرهم من المسلمين، فلما جاء قبور الشهداء، قال: هذه قبور إخواننا.

وأذكر هنا أسماء الشهداء الذين ماتوا في معركة أُحد باختصار من كتاب «غزوة أُحد»=

=(١٤٥-١٨٣) لسليمان العوفي، مرتبة على حروف الهجاء:
١ – أبو أسيرة ابن الحارث بن علقمة، ٢ – أبو سفيان ابن الحارث بن قيس، ٣ – أنس بن النضر، ٤ – أنيس بن قتادة، ٥ – أوس بن الأرقم، ٦ – أوس بن ثابت، ٧ – أوس بن سلامة بن وَقْش، ٨ – إياس بن أوس، ٩ – إياس بن عدي، ١٠- ثابت بن عمرو، ١١- ثابت بن وَقْش، ١٢- ثعلبة بن حاطب، ١٣ – ثعلبة بن سعد، ١٤ – ثقف بن فروة، ١٥- ثقيف بن عمرو، ١٦ – الحارث بن أنس، ١٧ – الحارث بن أوس، ١٨ – الحارث بن ثابت بن سعد، ١٩ – الحارث بن ثابت بن عبد الله، ٢٠ – الحارث بن عدي بن خرشة، ٢١ – الحارث بن عقبة، ٢٢ – حبيب بن زيد بن تميم، ٢٣ – حسيل بن جابر اليمان، ٢٤ – حمزة بن عبد المطلب، ٢٥ – حنظلة بن أبي عامر ٢٦ – خارجة بن زيد بن أبي زهير، ٢٧- خلاّد بن عمرو بن الجموح، ٢٨ – خيثمة بن الحارث بن مالك، ٢٩ – ذكوان بن عبد قيس بن خلدة، ٣٠ – رفاعة بن عمرو بن نوفل، ٣١ – رفاعة بن وَقَش بن زغبة، ٣٢ – زياد بن السكن بن رافع، ٣٣ – سبيع بن حاطب بن قيس بن هيشة، ٣٤ – سعد بن خارجة بن زيد، ٣٥ – سعد بن خولي بن سبرة، ٣٦ – سعد بن الربيع، ٣٧ – سعد بن سويد بن قيس، ٣٨ – سلمة بن ثابت بن وَقْش، ٣٩ – سليط بن ثابت بن وَقْش، ٤٠ – سليط بن عمرو بن زيد، ٤١ – سُلَيم بن الحارث، ٤٢ – سُلَيم بن عمرو – أو عامر –، ٤٣ – سُلَيم مولى عمرو بن الجموح، ٤٤ – سهل بن رومي بن وَقْش، ٤٥ – سهل بن عدي بن زيد، ٤٦ – سهل بن قيس بن أبي بن كعب، ٤٧ – شَمّاس بن عثمان بن الشريد، ٤٨ – صيفي بن قيظي بن عمرو بن سهل ٤٩ – ضمرة بن عمرو بن كعب الجهني، ٥٠ – عامر بن أمية بن زيد بن الحسحاس، ٥١ – عامر بن مخلد بن الحارث، ٥٢ – عامر بن يزيد بن السكن، ٥٣ – عبادة بن الخشخاش، ٥٤ – عبادة بن سهل بن مخرمة، ٥٥ – عباس بن عبادة بن نضلة، ٥٦ – عبد الرحمن بن حبيب، ٥٧ – عبد الله بن جبير بن النعمان، ٥٨ – عبد الله بن جحش، ٥٩ – عبد الله بن سلمة=

=ابن مالك، ٦٠ – عبد الله بن عمرو بن حرام، ٦١ – عبد الله بن عمرو الدوسي، ٦٢ – عبد الله بن عمرو بن وهب بن ثعلبة، ٦٣ – عبد الله بن قيس، ٦٤ – عبد الله بن نضلة بن مالك، ٦٥ – عبد الله بن الهبيب، ٦٦ – عبيد بن التيهان بن مالك بن عتيك، ٦٧- عبيد بن المعلى بن لوذان، ٦٨ – عتبة بن الربيع بن رافع، ٦٩ – عقربة الجهني، ٧٠ – عُمارة بن زياد بن السكن، ٧١ – عُمارة بن مخلدة بن الحارث، ٧٢ – عمرو بن إياس، ٧٣ – عمرو بن ثابت بن وقش، ٧٤ – عمرو بن الجموح، ٧٥ – عمرو بن قيس بن زيد بن سواد، ٧٦ – عمرو بن قيس بن مالك، ٧٧ - عمرو بن مطرف بن عمرو، ٧٨ – عمرو بن معاذ بن النعمان، ٧٩ – عمير بن ثابت بن النعمان بن أمية، ٨٠ – عنترة بن عمرو الأنصاري، ٨١ – قيس بن عمرو بن قيس، ٨٢ – قيس بن مخلد بن ثعلبة، ٨٣ – كيسان الأنصاري، ٨٤ – مالك بن إياس الأنصاري، ٨٥ – مالك بن ثابت، ٨٦ – مالك بن خلف، ٨٧ - مالك بن سنان الخدري، ٨٨ – المجذر بن زياد بن عمرو، ٨٩ – مصعب بن عمير، ٩٠ – النعمان بن خلف، ٩١ – النعمان بن مالك بن ثعلبة بن دعد، ٩٢ – النعمان بن مالك بن ثعلبة بن أصرم، ٩٣ – النعمان بن عبد عمرو بن رفاعة، ٩٤ – النعمان بن عبد عمرو بن مسعود، ٩٥ – نوفل بن ثعلبة، ٩٦ – وهب بن قابوس المزني، ٩٧ – يزيد بن حاطب، ٩٨ – يزيد بن السكن بن رافع، ٩٩ – يزيد بن قيس بن النعمان.

فائدة: «عدد المهاجرين الذين قتلوا في هذه المعركة ستة؛ وهم: حمزة بن عبد المطلب، ومصعب بن عمير، وعبد الله بن جحش، وشمّاس بن عثمان، وسعد بن خولي، وثقيف ابن عمرو الأسلمي. وسائر من بقي من القتلى هم من الأنصار وحلفائهم ومواليهم، رضي الله تعالى عن الجميع».

تنبيه: لقد أسلم كثير من المشركين بعد هذه المعركة، كخالد بن الوليد، ووحشي بن حرب، وعمرو بن العاص... وغيرهم، فمن تاب تاب الله عليه.

الخندق

«إن من أهم معالم المدينة الخندق؛ الذي يعتبر من الخطط الحربية المهمة، وهو الذي حفره المسلمون، عندما اجتمعت الأحزاب على المدينة، ولما كانت المدينة محاطة بتحصينات طبيعية من شرقيها وجنوبيها وغربيها، لما يحيط بها من حِرَارٍ[1] وَعِرَةٍ، لا مطمع للجيوش في عبورها، ومع ما يتخللها من قرى ومزارع ونخيل، مما يشتت ويبعثر أي جيش يفكر في الإتيان منها، ولكن الجهة الشمالية مدخل عسكري مكشوف، وغير محصن، فلهذا كان لا بد أن تحصن هذه الجهة، فحصنها المصطفى صلى الله عليه وسلم بالخندق؛ فحفره من نهاية الحَرّة الشرقية، عند أجمة الشيخين، شرقي ما يعرف به الآن بمسجد المستراح، حتى تثنية حَرّة بني سلمة إلى الشرق من القبلتين، بطول (٢٧٢٥) متراً، وبشكل قوس منفرج، بالفؤوس والمعاول... وغيرها من الآلات التقليدية، وجعل النبي صلى الله عليه وسلم لكل عشرة من الصحابة أربعين ذراعاً يحفرونها بعمق عشرين ذراعاً وعرض أربعين ذراعاً»[2].

■ غزوة الخندق - أو غزوة الأحزاب -:

كانت غزوة الأحزاب في سنة خمس من الهجرة النبوية.

---

(١) جمع حَرّة، وهي الأرض ذات الحجارة السُّود.

(٢) انظر «الدر الثمين في معالم دار الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم» (٢٠٢-٢٠٤) بتصرف.

«وسببها أن نفراً من زعماء اليهود من بني النضير، خرجوا حتى قدموا مكة، فدعوا قريشاً إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقالوا: سنكون معكم حتى نستأصله، وقالوا لهم: إن ما أنتم عليه، خير من دين محمد صلى الله عليه وسلم، فاتفقوا مع قريش على حرب المسلمين، وتواعدوا لذلك، ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاؤوا غطفان، فدعوهم إلى مثل ما دعوا قريشاً إليه، ولم يزالوا بهم حتى وافقوهم على ذلك، ثم التقوا ببني فزارة وبني مرة، وتم لهم مع هؤلاء جميعاً تواعدٌ في الزمان والمكان، لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، وسمع بخروجهم من مكة، دعا الناس وأخبرهم خبر عدوهم، وشاورهم في الأمر، فأشار عليه سلمان الفارسي رضي الله عنه بالخندق، فأعجب ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وجميع المسلمين.

فخرجوا جميعاً ليحفروا الخندق، وكان المسلمون يومئذ ثلاثة آلاف.

وأما المشركون فقد فوجئوا بالخندق حينما وصلوا إليه، وقالوا: إنّ هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها، فعسكروا حول الخندق يحاصرون المسلمين، وكان عدد ما اجتمع من قريش والأحزاب والقبائل الأخرى عشرة آلاف.

ولا شك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعمل بالأسباب ويأخذ التدابير اللازمة للحرب وخدعها، ومن الأسباب المهمة، سوى حفر الخندق، تفتيت جموع المشركين، وإضعاف قواهم، وكان ذلك عن طريق نعيم بن مسعود،

فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم أن يعود إلى المشركين، ويقوم بخداعهم[1]، فخرج نعيم فأتى بني قريظة -وهم يحسبونه لا يزال مشركاً- فأقنعهم أن لا يَتَوَرّطوا مع قريش في قتالٍ، حتى يأخذوا منهم رهائن، كي لا يولوا الأدبار، فيبقوا وحدهم في المدينة دون أي نصير لهم على محمد وأصحابه، ثم ذهب إلى قريش فأنبأهم أن بني قريظة قد ندموا على ما صنعوا، وأنهم قد اتفقوا خِفْية مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يختطفوا عدداً من أشراف قريش، فيسلموهم له ليقتلهم، وهكذا تألب بعضهم على بعض، واختفت الثقة بينهم، وأصبح كل فريق منهم يتهم الفريق الآخر بالغدر والخيانة.

ثم ولُّوا منصرفين منهزمين، وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة منتصرين»[2].

***

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحرب خدعة»؛ رواه البخاري برقم (٣٠٣٠)، ومسلم برقم (١٧٣٩).

(٢) انظر «فقه السيرة النبوية» للبوطي (ص٢١٣) بتصرف.

بعض الغزوات المهمة[1]

■ غزوة بدر:

«بدر بِئْرٌ لرجل يُسَمَّى بدر بن الحارث، وقيل: سميت بدراً لاستدارة البئر كالبدر، وقيل: لصفاء البئر، ورؤية البدر فيها، وقيل: احتفر البئر رجل اسمه بدر بن كلدة ثم سُمِّيَ باسْمِه»[2].

غزوة بدر الكبرى كانت في سنة اثنتين من الهجرة النبوية.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في شهر الصيام، واستخلف على المدينة أبا لبابة ابن عبد المنذر، ودفع لواءهُ إلى مصعب بن عمير.

وسار في ثلاث مئة أو يزيد، من المهاجرين والأنصار يريد عِيْراً[3] لقريش، فيها أنواع من المتجر، وجماعة من التجار، حتى وصل قريباً من بدر، ونزل بمن معه من أهل الشرف والقدر، وكان قد بلغ قريشاً خروجه صلى الله عليه وسلم إلى إمساكهم، فبعثوا إلى مكة مَن حَضَّ أصحابهم على إدراكهم، واجتمعوا نحو الألف، ما بين الفارس والرَّاجِل[4]، فردوا العير، وأحرزوا المال، ثم أصبحوا مُصَمِّمِين على النِّزَال والقتال.

---

(١) تنبيه: لم أُراعِ ترتيبها الزمني.

(٢) انظر «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني (١٧/ ٧٦).

(٣) هي ما يُجْلب عليه الطعام من قوافل الإبل والبغال والحمير.

(٤) هو الذي يمشي على رجليه.

فبرز المسلمون إلى قتالهم، والتقى الفريقان، وحمى الوطيس[١]، وخذل الله من طغى من المشركين وبغى، ومنح أهل الإيمان العلو والرفعة؛ فقتلوا صناديدهم[٢]، وأسروا أشرافهم، وظفروا بالنصر العزيز، والفتح القريب، ورموا بعض القتلى في القَلِيب[٣]»[٤].

■ غزوة بني قَيْنُقَاع:

«بنو قينقاع: قبيلة من اليهود.

وكلمة قينقاع مركبة من: قين؛ الذي هو الحداد، ومن: قاع؛ اسم أُطُم مِن آطام المدينة، ومعنى الأطم هو الحصن»[٥].

«وغزوة بني قَيْنُقَاع كانت في سنة اثنتين من الهجرة النبوية.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم للنصف من شوال، ودفع إلى حمزة بن عبد المطلب لواءه المنشور، واستخلف ابن المنذر أبا لبابة، وسار إلى بني قينقاع بمن معه من الصحابة.

وكانوا أول مَن غَدَر من اليهود؛ لأنهم وَادَعُوه، ثم نقضوا حبل العهود، فنازلهم ولم يقبل فيهم بعد غدرهم لوماً، وحاصرهم في حصنهم أشد الحصار،

---

(١) أي: اشتدت الحرب، والوطيس في اللغة: التنور؛ فشبه الحرب باشتعال النار ولهبها.

(٢) جمع صنديد؛ وهو الرئيس.

(٣) أي: البئر.

(٤) انظر «المقتفى من سيرة المصطفى» (ص٤٠) بتصرف.

(٥) انظر «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٥/ ١٨) بتصرف.

وأجلب عليهم بالمهاجرين والأنصار، حتى قذف الله في قلوبهم الرعب والمخافة، ونزلوا على حكمه، لا يظهرون ولا يُضْمِرُون خِلاَفه، فَغَنِمَ أموالهم، ثم أَجْلاَهم عن ديارهم وفرقهم، ورجع إلى المدينة مصحوباً بالنصر والتأييد والسكينة»[1].

■ غزوة بني قُرَيْظَة :

«بنو قريظة: قبيلة من اليهود.

وكلمة قريظة من القَرَظ؛ وهو نوع من الشجر يُدْبَغ به، وتصغيره قُرَيْظَة»[2].

وغزوة بني قريظة كانت في سنة خمس من الهجرة النبوية.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بني قريظة في ذي القعدة بعد رجوعه من الخندق بأمر من الله وحده، ودفع لواءه إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ثم سار إلى حصونهم في ثلاثة آلاف، وأنساهم لذة القرار في موطن الإيلاف، وحاصرهم خمساً وعشرين يوماً، ومنعهم أن يلقوا راحة أو يعرفوا نوماً فجنحوا إلى سِلْمِه، وأَذْعَنوا بالنزول على حُكْمِه، فأخرج النساء والذُّرِّية، واعتقل الرجال، وجمع الأمتعة والأسلحة والماشية والجمال، ثم سئل في إطلاقهم، فرأى تحكيم سعد بن معاذ رضي الله عنه في هذه القضية، فلما حضر حكم بأن يُقْتَل الرجال، وتُقْسَم الأموال، وتسبى النساء والذُّرِّية.

---

(١) انظر «المقتفى من سيرة المصطفى» (ص٤٢).

(٢) انظر «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (٦/ ٢٦٤) بتصرف.

ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فضرب بها أعناقهم، وقَسَّم بين المسلمين سباياهم وأموالهم»[1].

غزوة بني النَّضِير :

بنو النضير قبيلة من اليهود.

وهي نسبة إلى رجل اسمه النضير بن النحام بن ينحوم، من بني إسرائيل.

«وغزوة بني النضير كانت في سنة أربع من الهجرة النبوية.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في ربيع الأول، وترك عبد الله ابن أم مكتوم بالمدينة عاملاً عليها، وسار بأصحابه إلى بني النضير، عازماً على حرب الجليل منهم والحقير، حيث خانوا ومكروا ونقدوا حبل العهد وغدروا، فحاصرهم عشرة أيام ونصفها، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فأجلاهم عن ديارهم حسب سؤالهم، وكف عن دمائهم وبعض أموالهم، وأمر بقبض ما تركوه من الأموال، وكانت أموالهم فيئاً له وحبساً لنوائبه، ثم رجع منصوراً مسروراً»[2].

غزوة خيبر :

خيبر هي قرية كانت لليهود، وسُمِّيَتْ خيبر على اسم خيبر بن قانية بن مهلائيل، أخو يثرب؛ الذي سميت به المدينة قديماً، وهو رجل من العماليق، أول من نزل هذه الأرض.

---

(١) انظر «المقتفى من سيرة المصطفى» (ص٥٢).

(٢) انظر «المقتفى في سيرة المصطفى» (٤٨) بتصرف، وقوله: «فيئاً» أي: الغنائم التي يأخذها المسلمون من الكفار دون قتال، وقوله: «لنوائبه» أي: المصائب والحوادث.

«وغزوة خيبر كانت في سنة سبع من الهجرة النبوية.

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في جمادي الأولى إلى خيبر، واستخلف سِبَاع بن عرفطة الغفاري، وساروا إلى حرب من يجادل في الحق، حتى نزلوا بساحتهم، وأقبلوا بنفي راحتهم، فوعظ الناس، وفرق الرايات، وجَدّ المسلمون في قتالهم، وبالغوا في جِلاَدهم، وأرغموا آنافهم، وقتلوا أشرافهم، وأنزلوهم من صياصيهم[1]، وأخذوا بأعناقهم ونواصيهم، وأقاموا على محاصرتهم مدة، وألْجأوهم إلى اقتحام الضَّيق والشدة، وفتحوا لهم عدة حصون، واستخرجوا ما كان فيها من المال المصون.

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أجابهم إلى سؤالهم، وساقهم مع أهل فَدَك[2] على النصف من أموالهم.

وفي هذه الغزوة تزوج صفية، ونهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية، وفيها قتل اليهودية التي أهدت إليه الشاة المسمومة، ونهى عن بيع الغَنِيمة التي هي غير مقسومة.

ولما فرغ من أمر خيبر، قسم الغنائم، ثم عاد إلى المدينة مرفوع الألوية منصوب العزائم»[3].

---

(١) أي: حصونهم.

(٢) هي أرض من خيبر، صالح النبي صلى الله عليه وسلم اليهود عليها، على أنهم يزرعونها ويعطون نصف غلتها للنبي صلى الله عليه وسلم.

(٣) انظر «المقتفى في سيرة المصطفى» (ص٦٠) بتصرف.

■ غزوة تَبُوك :

تبوك اسم مكان، يبعد عن المدينة النبوية من الجهة الشمالية (٦٨٠) كيلو متراً تقريباً.

«سُمَّيت تبوك بالعين[١] التي فيها؛ والتبوك هو كالنقش والحفر في الشيء.

وقد جاء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنكم ستأتون غداً -إن شاء الله- عين تبوك، وإنكم لا تأتوها حتى يضحى النهار، فمن جاءها فلا يمس من ماءها شيئاً حتى آتي»[٢].

فهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم سَمَّاها تبوك قبل أن يأتيها»[٣].

وغزوة تبوك كانت في سنة تسع من الهجرة النبوية.

---

(١) هي ينبوع الماء ينبع من الأرض ويجري، أو البئر.

(٢) رواه مسلم برقم (٧٠٦)، وانظره بعد حديث رقم (٢٢٨١).

تنبيه: يوجد حديث آخر لا يصح؛ فيه أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر الناس أن لا يَمَسُّوا من ماء العين شيئاً، فسبق إليها رجلان، وهي تبض بشيء من ماء، فجعلا فيها سهمين ليكثُر ماؤها؛ فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال لهما: «ما زلتما تَبُوكَانِهَا منذ اليوم».

وقال القتيبي: وبذلك سميت العين تبوك.

وهذا ليس صحيحاً؛ لما في رواية مسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم سَمّاها عين تبوك، قبل أن يصل إليها أحد منهم.

(٣) انظر «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٨/ ٤٤).

خرج النبي صلى الله عليه وسلم في شهر رجب، وأمر بطلب أهل مكة، واستنفر قبائل العرب، وطلب وحثّ الناس إلى الخروج، وحَضّهم على قتال جيش الروم؛ الذي قيل: إنه بلغ أربعين ألف مقاتل.

وكان بلغه أن الروم تجمعت للمحاربة وإن ملكهم هرقل تهيأ للمقاتلة والمغالبة.

وحث على الإنفاق في سبيل الله أهلَ الغنى؛ فجاد كل من أبي بكر وعثمان بما ملأ الأيدي.

واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة، وأمر علي بن أبي طالب أن يَخْلُفه في أهله.

وسار صلى الله عليه وسلم في ثلاثين ألفاً من الناس مقبلين على الجهاد في سبيل الله تعالى، وجازمين بكسر أصلاب الأعداء، وخفض صليبهم، حتى قدموا إلى تبوك، وأقاموا فيها عشرين يوماً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقصر الصلاة مدة المقام بالأقوام.

وفي هذه الغزوة جاء المُعَذِّرُون من الأعراب، وعنها تَخَلَّف ناس بغير عذر ولا عِلّة.

ثم عادوا منتصرين إلى المدينة، فوصلها النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه في شهر الصيام، وهي آخر غزوة غزاها بنفسه صلى الله عليه وسلم»[1].

---

(١) انظر «المقتفى في سيرة المصطفى» (ص٧٦) بتصرف.

غزوة فتح مكة :

«في شهر رمضان المبارك في السنة الثامنة من الهجرة النبوية، كانت غزوة فتح مكة البلد الأمين.

وسبب هذا الفتح العظيم؛ أنه لما تم الصلح بين النبي صلى الله عليه وسلم وقريش في الحديبية في السنة السادسة، كان مَن أحب أن يدخل في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فَعَل، ومَن أحب أن يدخل في عهد قريش فَعَل، فدخلت خُزاعة في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، ودخلت بنو بكر في عهد قريش، فانتهزت بنو بكر هذه الهدنة، فأغارت على خزاعة، وهم آمنون، وأعانت قريش حلفاؤها بني بكر بالرجال والسلاح سِرَّاً، على خزاعة حلفاء النبي صلى الله عليه وسلم، فَقَدِمَ جماعة منهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه بما صنعت بنو بكر وإِعَانة قريش لها، أما قريش رأوا أنهم بفعلهم هذا نقضوا عهدهم، فأرسلوا زعيمهم أبا سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشدّ العقد ويزيد في المدة، فكَلّم النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك، فلم يَرُدّ عليه، ثم كلم بعض أصحابه رضي الله عنهم فلم يُفْلِح.

وأما النبي صلى الله عليه وسلم فقد أمر أصحابه بالتجهز للقتال، وأخبرهم بما يريد، واستنفر مَن حوله مِن القبائل، ثم خرج من المدينة بنحو عشرة آلاف مقاتل، وولَّى على المدينة عبد الله بن أم مكتوم، ولما كان في أثناء الطريق لقيه في الجحفة عمه العباس بأهله وعياله مهاجراً مسلماً، وفي مكان يسمى الأبواء لقيه ابن عمه أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، وابن عمته عبد الله بن أبي أمية

وكانا من أشد أعدائه، فأسلما، فقبل منهما.

ولما بلغ صلى الله عليه وسلم مكاناً يُسَمّى مَرَّ الظَّهْرَان قريباً من مكة، أمر الجيش فأوقدوا ناراً، وجعل على الحرس عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم مضى صلى الله عليه وسلم، ودخل مكة فاتحاً مؤزراً منصوراً، قد طأطأ رأسه تواضعاً لله عز وجل، حتى أن جبهته تكاد تمس راحلته، وهو يقرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] ويُرَجِّعُهَا، وبعث صلى الله عليه وسلم على إحدى المجنبتين خالد بن الوليد، وعلى الأخرى الزبير بن العوام، وقال: «من دخل المسجد فهو آمن»، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن دخل بيته وأغلق بابه فهو آمن، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أتى المسجد الحرام، فطاف به على راحلته، وكان حول البيت ستون وثلاث مئة صنم، فجعل صلى الله عليه وسلم يطعنها بقوس معه، ويقول: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[2]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾[3]، والأصنام تتساقط على وجوهها، ثم دخل صلى الله عليه وسلم الكعبة، فإذا فيها صور، فأمر بها فمحيت، ثم صلى فيها، فلما فرغ، دار فيها، وكبر في نواحيها، ووَحّد الله عز وجل، ثم وقف على باب الكعبة، وقريش تحته ينتظرون ما يفعل، فأخذ بعِضَادَتِي الباب، وقال: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، صدق

---

(١) سورة الفتح:١.

(٢) سورة الإسراء:٨١.

(٣) سورة سبأ: ٤٩

وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده، يا معشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتَعَظُّمَها بالآباء، الناس من آدم، وآدم من تراب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[1].

ولما كان اليوم الثاني من الفتح قام النبي صلى الله عليه وسلم خطيباً في الناس، فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: «إن الله حرم مكة ولم يحرمها الناس، فلا يحل لامرِئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يَعْضُد بها شجرة، فإن أحد ترخص بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقولوا: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، فليبلغ الشاهد الغائب»[2].

وبهذا الفتح المبين تم نصر الله، ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وعَادَ بَلَدُ الله بلداً إسلامياً، أعلن فيه بتوحيد الله، وتصديق رسوله، وتحكيم كتابه، وصارت الدولة فيه للمسلمين، واندحر الشرك، وتبدد ظلامه، ولله الحمد، وذلك من فضل الله على عباده إلى يوم القيامة»[3].

***

---

(١) سورة الحجرات: ١٣.

(٢) رواه البخاري برقم (١٠٤)، ومسلم برقم (١٣٥٤).

(٣) انظر «مجالس شهر رمضان» لابن عثيمين (ص١٧٣) بتصرف.

مكة المشرفة والمكرمة بلاد الله الحرام

من أسمائها وأوصافها :

إن مكة أطهر بقعة في الأرض، فلقد اختارها الله تعالى ليكون فيها بيته، ويولد فيها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وتكون مزاراً لعباده يحجون ويعتمرون.

فلها شرف عظيم، فلذلك كثرت أسماؤها وصفاتها؛ كما قيل: كثرة الأسماء والصفات للشيء الواحد يدل على عظمته.

وأذكر بعض أسمائها الثابتة:

١ – مكة :

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ (١).

قيل: سميت بذلك لقلة مائها، وذلك أنهم كانوا يَمْتَكُّون الماء فيها؛ أي: يستخرجونه، وقيل: سميت مكة لأنها كانت تَمُكُّ مَن ظَلَم فيها وَأَلْحَدَ؛ أي: تُهْلكه، وقيل: سميت مكة لازدحام الناس فيها؛ لأن المَكُّ: هو الازدحام، وقيل: إن مكة مأخوذة من المُكَاكَة؛ وهي اللُّبُّ والمُخُّ الذي في وَسَط العَظْم؛ سميت بها لأنها وسط الدنيا ولُبُّهَا وخالصها (٢)، وكلها معاني محتملة.

---

(١) سورة الفتح: ٢٤.

(٢) انظر «لسان العرب» (١٠/ ٤٩٠)، و«تاج العروس» (٢٧/ ٣٤٣).

٢ – بَكَّة :

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١].

تنبيه: قال ابن الأثير: «من أسماء مكة بكة، قيل: بكة موضع البيت، ومكة سائر البلد، وقيل: هما اسم البلدة، والباء والميم يتعاقبان؛ وسميت بكة لأنها تَبُكّ أعناق الجبابرة؛ أي: تَدُقُّها، وقيل: لأن الناس يَبُكّ بعضهم بعضاً في الطواف؛ أي: يزحم ويدفع...»[٢].

٣ – أم القرى :

قال الله تعالى ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴾[٣].

٤ – البلد :

قال الله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴾[٤].

---

(١) سورة آل عمران:٩٦.

(٢) انظر «النهاية في غريب الحديث»، مادة بكك.

(٣) سورة الشورى:٧.

(٤) سورة إبراهيم:٣٥.

٥ – البلد الأمين :

قال الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ . وَطُورِ سِينِينَ . وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ﴾[١].

٦ – البلدة الحرام :

عن أبي بكرة رضي الله عنه، قال: خطبنا النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر، قال: «أتدرون أي يوم هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليس يوم النحر؟!»، قلنا: بلى، قال: «أي شهر هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى ظننا أن سيسميه بغير اسمه، فقال: «أليس ذو الحجة؟!»، قلنا: بلى، قال: «أي بلد هذا؟»، قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت، حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «أليست بالبلدة الحرام؟!»، قلنا: بلى، قال: «فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، إلى يوم تلقون ربكم، ألا هل بلغت؟» قالوا: نعم، قال: «اللهم اشهد، فليبلغ الشاهد الغائب، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سامع، فلا ترجعوا بعدي كفاراً؛ يضرب بعضكم رقاب بعض»[٢].

■ من فضائلها:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله إنكِ لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منك ما خرجت» [٣].

---

(١) سورة التين: ١-٣.

(٢) رواه البخاري برقم (١٧٤١)، ومسلم برقم (٢٦٩٩).

(٣) رواه الترمذي برقم (٣٩٢٥)، وصححه الألباني، انظر «المشكاة» برقم (٢٧٢٥).

وفي لفظ آخر: «ما أطيبك من بلد وأحبك إليَّ، ولولا أن قومي أخرجوني منك ما سكنتُ غيرك»(١).

وقال صلى الله عليه وسلم: «ليس من بلد إلا سيطؤه الدَّجَّال، إلا مكة والمدينة، ليس له من نِقَابِها نَقْب إلا عليه الملائكة صافِّين يحرُسونها، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فَيُخْرِج الله كل كافر ومنافق»(٢).

وقال صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة: «إن هذا البلد حرَّمه الله، لا يُعْضَدُ شوكه، ولا يُنَفَّر صيده، ولا يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إلا مَن عَرَّفَها»(٣).

■ حدود حرم مكة:

«وقد نُصِبت أعلام على حدوده، في الطرق الرئيسية المُؤَدِّية إلى مكة المكرمة؛ وهي:

١ – حدّه من الغرب: الشميسي (الحديبية)، فبعضها في الحل، وبعضها في الحرم، وهي أبعد الحدود، فتبعد باثنين وعشرين كيلو، ويمرّه طريق جدة.

٢ – الجنوب: أضاة لَبِنَ، في طريق اليمن الآتي مع تهامة، وتبعد باثني عشر كيلو.

---

(١) رواه الترمذي برقم (٣٩٢٦)، وصححه الألباني، انظر «المشكاة» برقم (٢٧٢٦).

(٢) رواه البخاري برقم (١٨٨١)، ومسلم برقم (٢٩٤٣)، وقوله: «سيطؤه» أي: سيدخله، وقوله: «من نقابها نقب» النقب هو الطريق في الجبل، وقوله: «ترجف» أي: تزلزل.

(٣) رواه البخاري برقم (١٥٨٧)، وقوله: «لا يعضد» أي: لا يقطع.

٣ – الشرق: ضفة وادي عُرَنة الغربية، وهو طريق الطائف والحجاز (السَّراة) ونجد واليمن، ويبعد بخمسة عشر كيلو.

٤ – الشمال الشرقي: طريق الجَعَرَّانة عند جبل المقطع بالقرب من قرية (شرائع المجاهدين)، وتبعد بنحو ستة عشر كيلو.

٥ – الشمال: وحدّه التنعيم، وهو طريق المدينة المنورة، الـمتَّجِه مع (وادي فاطمة) الجمُوم، ويبعده بسبعة كيلوات، وهو أقرب حدود الحرم»[١].

ومقتضى هذا التحريم عدم قطع شجرها وتنفير صيدها.

***

(١) انظر «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» (٢/ ٧٠١-٧٠٢).

المسجد الحرام

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١).

وسُمِّي أيضاً بالبيت العتيق؛ قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾(٢).

وكذلك سُميِّ بالبيت الحرام، والكعبة؛ قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة الإسراء:١.

(٢) سورة الحج: ٢٩، وقوله: «ليقضوا تفثهم» التفث في الأصل الوسخ والقذر، وفَسَّره جَمْعٌ بالشعور والأظفار الزائدة؛ والمراد: ليزيلوا الوسخ والقذر، بتقليم الأظفار، وحلق أو تقصير شعر الرأس، والأخذ من الشارب، ونتف الإبط، وحلق العانة.

تنبيه: جاء في سبب تسميته بالبيت العتيق حديث لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو قوله: «إنما سَمّى الله البيت العتيق؛ لأن الله أعتقه من الجبابرة، فلم يظهر عليه جَبّار قط»، انظر «سلسلة الأحاديث الضعيفة» للألباني، برقم (٣٢٢٢).

(٣) سورة المائدة:٩٧، وقوله: «الكعبة» أي: البيت المُرَبع، وقوله: «الهدي» أي: ما أُهْدِي إلى الكعبة من الأنعام، وقوله: «القلائد» جمع قلادة؛ وهي ما قُلّدت به الأنعام، ليعلم أنها مُهْدَاة إلى الحرم.

من فضائله :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي خير من ألف صلاة فيما سواه، إلاّ المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل مئة ألف صلاة فيما سواه» [1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الإسلام بدأ غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يَأْرِز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها» [2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تشدوا الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» [3].

هل تضعيف أجر الصلاة في المسجد الحرام، خاص بالمسجد أو يعم جميع الحرم؟.

«قيل: يعم جميع الحرم؛ قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [4].

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٤٣ و٣٩٧)، وصححه الألباني، انظر «الإرواء» (٤/ ١٤٦٩).

(٢) رواه مسلم برقم (١٤٦)، وقوله «يأرز» أي: ينضم ويجتمع، وقوله: «المسجدين» أي: مسجدي مكة والمدينة.

(٣) رواه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧).

(٤) سورة الإسراء:١.

وأنه صلى الله عليه وسلم أُسري به من بيت أم هاني، وهو خارج المسجد.

ولما نزل النبي صلى الله عليه وسلم بالحديبية، وكان بعضها في الحل، وبعضها في الحرم، كان ينزل في الحل، ويصلي في الحرم داخل الحدود[1].

وقيل: المراد هو مسجد الكعبة خاصة، وما زيد فيه فهو منه، ودليلهم ما رواه مسلم في «صحيحه»[2]؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلا مسجد الكعبة».

فَنَصَّ على مسجد الكعبة.

أما الإجابة على أدلة القائلين بأنه المراد كل الحرم.

قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾، الثابت أنه أسري بالنبي صلى الله عليه وسلم من الحِجر (حجر الكعبة)، وهذا ثبت في الصحيح؛ قال ابن حجر رحمه الله: «والجمع بين كونه أسري فيه منه ومن بيت أم هانئ – إن كان هذا اللفظ محفوظاً –، أنه كان في أول الليل في بيت أم هانئ نائماً، ثم أوقظ، وخرج إلى المسجد، ونام في الحجر».

أما فعله بالحديبية فنحن نُسَلِّم أن الصلاة في الحرم أفضل من الصلاة في الحل، لكن كلامنا على الفضل المخصوص، وهو كون الصلاة فيه بمئة ألف صلاة، إذن

---

(١) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢١٥).

(٢) برقم (١٣٩٦).

الفضل مخصوص بالمسجد الذي فيه الكعبة»[1].

وسئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: هل الصلاة في المسجد المجاور للحرم تعادل الصلاة في الحرم نفسه؟.

فأجاب: الصلاة في المسجد النبوي خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام، والمساجد المجاورة للمسجد النبوي لا يكون فيها ثواب المسجد النبوي، أما مكة فقد اختلف العلماء، هل يحصل ثواب المسجد الذي فيه الكعبة للمساجد الأخرى أم لا، والصحيح أنه لا يحصل، لأن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه، إلا مسجد الكعبة»، فقوله: «إلا مسجد الكعبة» نَصٌّ في أن الذي فيه هذا التفضيل هو مسجد الكعبة، ومعلوم أنك لو صليت في مسجد بالعزيزية مثلاً ما قال الناس هذا مسجد الكعبة، لكن الصلاة في الحرم؛ أي فيما كان داخل حدود الحرم، أفضل من الصلاة في الحل؛ يعني: لو صليت في مسجد العزيزية أو العوالي أو ما أشبه ذلك، فهو أفضل مما لو صليت في مسجد الرياض أو ما أشبهه، والدليل على هذا؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل بالحديبية، وكان بعضها من الحرم، وبعضها من الحِلّ، «كان إذا حضرت الصلاة دخل إلى الحرم وصلى فيه»[2].

---

(١) انظر «الشرح المختصر على بلوغ المرام» لابن عثيمين (٧/ ٦٠).

(٢) انظر «لقاءات الباب المفتوح» (٣٧/ ١٥).

■ هو أول مسجد بُنِيَ:

عن أبي ذر رضي الله عنه، قال: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أول؟، قال صلى الله عليه وسلم: «المسجد الحرام» قلتُ: ثم أي؟، قال صلى الله عليه وسلم: «المسجد الأقصى»، قلت: كم بينهما؟، قال صلى الله عليه وسلم: «أربعون سنة، ثم حيث عرضت لك الصلاة فصل فهو مسجد»[1].

■ الكعبة المشرفة:

«فقد بُنِيَتِ الكعبة عِدّة مرات، بعضها اتفق على ثبوته، وبعضها اختلف فيه؛ فالمتفق عليه هو:

(١) بناء إبراهيم عليه السلام.

(٢) بناء قريش.

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٦٦)، ومسلم برقم (٥٢٠).

تنبيه: روى النسائي في «سننه» (٢/ ٢٤)، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس...»؛ وقد أشكل هذا الحديث على بعض الناس، فقال: إن سليمان بَنَى المسجد الأقصى، وإبراهيم وابنه إسماعيل بنيا المسجد الحرام، وبينهما وبين سليمان أكثر من ألف سنة، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: أربعون سنة؟!.

والجواب عن هذا الأشكال؛ هو أن الذي أسس المسجد الأقصى هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وكانت المدة بين المسجدين أربعين سنة، وأما سليمان فقد أعاد بناءه وتجديده، ولم يكن هو الباني له أولاً.

(٣) بناء عبد الله بن الزبير.

(٤) بناء الحجاج بن يوسف، بإذن من عبد الملك بن مروان.

والمختلف فيه هو:

١- بناء آدم عليه السلام.
٢- بناء الملائكة لها قبل آدم.
٣- بناء شئث ابن آدم.
٤- بناء العمالقة لها بعد إبراهيم.
٥- بناء جَرْهَم بعد العمالقة.
٦- بناء قُصَي بن كِلاَب بعد جرهم.
٧- بناء عبد المطلب بعد قُصي.

واختلف في أول من بناها؛ فقيل: وضعها الله لآدم دون أن يبنيها أحد، وقيل: بنتها الملائكة قبل آدم ثم بناها هو، وقيل: شئث بن آدم، وقيل: إبراهيم عليه السلام.

وأقرب هذه الأقوال إلى الصواب قولان: الأول: أن إبراهيم عليه السلام، وهو اختيار ابن كثير، حيث يقول: قال ابن عباس: «لو لم يحج الناس هذا البيت، لأطبق الله السماء على الأرض»، وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه أولاً وهو خليل الرحمن، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا﴾[1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ . فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾[2].

وكذلك استدل القائلون بهذا القول، بقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ

(١) سورة الحج:٢٦.

(٢) سورة آل عمران: ٩٦-٩٧.

ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1].

ولم يثبت نقل صحيح عن المعصوم أن البيت كان مبنياً قبل ذلك.

القول الثاني: أنه آدم عليه السلام، واستدل أصحاب هذا القول بما رواه البيهقي في «الدلائل» عن عمر مرفوعاً، وفيه قصة بناء آدم عليه السلام للكعبة وفي سنده ضعف، وروي موقوفاً على ابن عباس، كما عند الأزرقي وأبي الشيخ وابن عساكر، وهذا القول منقول عن محمد بن كعب القرظي وعطاء وغيرهم ورَجّحه الأزرقي في «شرحه على الموطأ»، وقال: فهذه الأخبار يقوي بعضها بعضاً، وهي من قبيل ما لا يقال بالرأي، والله أعلم».

■ أجزاء الكعبة:

إن الكعبة تتكون من: الحَجَر الأسود، وحِجْر إسماعيل، ومقام إبراهيم عليه السلام، والركن اليماني، والركن الذي فيه الحَجَر الأسود، والركنان الشاميان، والـمُلْتَزم، والباب، والمِيْزَاب، والشَّاذَرْوَان، والكسوة.

• فالـحَجَر الأسود:

هو الحَجَر المنصوب في الركن الجنوبي للكعبة، وهو مبدأ الطواف، وهو من حَجَر الجنة؛ كما قال صلى الله عليه وسلم: «نزل الحجر الأسود من الجنة، وهو أشد بياضاً من اللَّبن، فَسَوَّدته خطايا بني آدم»[2].

---

(١) سورة البقرة:١٢٧.

(٢) رواه الترمذي برقم (٨٧٧)، وصححه الألباني، انظر «السلسلة الصحيحة» برقم (١٦١٨).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عنه أيضاً: «إن لهـذا الحَجَـر لـساناً وشـفتين، يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق»[١].

- **وحِجْر إسماعيل[٢]:**

يسمى أيضاً الحَطِيم؛ لأنه حُطِّم من الكعبة، ويسمى الـجَدْر.

وهو الجزء الشمالي من البيت، ولكنه لم يُبْنَ مـع البيـت؛ لأن قريـشاً لمـا أرادت تجديد بناء البيت، جمعت له المال الحلال، ولم يكفِ لبنائه على قواعد إبراهيم عليه السلام، فجعلوا جداراً مُقوساً على الجزء، للتنبيه على أنه من البيت.

قالت عائشة رضي الله عنه: سألتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجَدْر، أَمِنَ البيت هو؟، قال صلى الله عليـه وسـلم: «نعـم»، قلـت: فلـم لم يـدخلوه في البيت؟، قال صلى الله عليه وسلم: «إن قومك قصرت بهم النفقة..»[٣].

- **مقام إبراهيم عليه السلام :**

هو الحَجَر الذي وقف عليه سيدنا إبراهيم نبي الله، وذلك حـين شرع في بنـاء الكعبة، وبعد أن ارتفع البناء، كان يقف على الحجر، ويناوله إسـماعيل الحجـارة،

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٢٦)، وابـن خزيمـة (٤/ ٢٢١)، وصـححه الألبـاني، انظـر «صـحيح الجامع» برقم (٢١٨٤).

(٢) تسميت هذا الجزء بحجر إسماعيل تسمة عامية وليست شرعية؛ لأن بناء البيت الـذي لم يشمل هذا الجزء كان بعد إسماعيل عليه السلام بأزمان كثيرة.

(٣) رواه البخاري برقم (١٢٦)، ومسلم برقم (١٣٣٣).

وبقي أثر قدمي إبراهيم عليه السلام[1]، وكان هذا الحجر ملاصقاً للكعبة، ولكنه أُبْعِدَ عنها ليتسع المكان للطائفين بالبيت الحرام.

ولقد أمرنا الله تعالى بالصلاة خلفه؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[2].

• والركن اليماني:

سُمِّيَ بذلك لأنه إلى جهة اليمن، ومن السنة في الطواف استلامه، وأن يقول بينه وبين الركن الذي فيه الحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[3].

• والركن الذي فيه الحجر الأسود:

ويسمى الركن الأسود، لوجود الحجر الأسود فيه.

وهو مبدأ الطواف ومنتهاه.

• الركنان الشاميان:

سُمِّيا بذلك لأنهما إلى جهة بلاد الشام، وليس من السنة لمسهما أو الإشارة إليهما.

---

(١) والناظر إلى موضع قدمي إبراهيم عليه السلام يرى أن هذا الموضع كأنه حفر على هيئة قدمين، فإن كان هذا حقاً؛ فلعل الذي قام بحفرها إبراهيم عليه السلام نفسه، حتى إذا وقف عليه توازن في حمل الأحجار والبناء، والله أعلم.

(٢) سورة البقرة:١٢٦.

(٣) سورة البقرة:٢٠١.

• والشَّاذَرْوَان:

هو البناء المحاط بأساس جدار الكعبة مما يلي سطح الأرض، وهو بارز عن جسم الكعبة قليلاً، ومغطى بأحجار الرخام، وهو من جهات الكعبة الثلاثة؛ الشرقية والغربية والجنوبية، وأما الجهة الشمالية من الكعبة ليس بها شاذروان، وكان هذا حينما أرادت قريش تجديد بناء الكعبة، فرصدوا لهذا الأمر مالاً حلالاً، فلم يفِ ببنائها، فتركوا هذه الأجزاء من الأساس.

• والباب:

كان للكعبة بابان مِن عهد إبراهيم عليه السلام، وعندما أرادت قريش تجديد بناء الكعبة، جمعوا لذلك المال الحلال، فلم يكف لبنائها، فجعلوا له باباً واحداً.

ولقد سألتْ عائشة رضي الله عنها النبي صلى الله عليه وسلم، فقالت: فما شأن بابه مرتفعاً؟، فقال صلى الله عليه وسلم: «فعل ذلك قومك، لِيُدْخِلُوا مَن شاءوا، ويمنعوا مَن شاءوا، ولولا قومك حديث عهدهم بكفر، لَنَقَضْتُ الكعبة، وأُلْزِق بابها في الأرض، وجعلت لها بابين؛ باب يدخل الناس، وباب يخرجون»[1].

• والمُلْتَزَم:

هو المسافة التي بين الركن الذي فيه الحَجَر الأسود وباب الكعبة.

وسمي بذلك لاستحباب التِزَامه ووضع الخد عليه بعد الطواف.

(١) رواه البخاري برقم (١٢٦)، ومسلم برقم (١٣٣٣)، وهذا اللفظ مجموع منهما.

قال محمد بن عبد الله بن عمرو بن العاص: طفت مع عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، فلما جئنا دبر الكعبة، قلت له: ألا تتعوذ؟، قال: أعوذ بالله من النار، ثم مضى حتى استلم الحجر، وأقام بين الركن والباب، فوضع صدره ووجهه وذراعيه وكفيه بين الركن والباب، ثم قال: هكذا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله [1].

● والـمِيْزَاب :

هو مَصَبُّ الماء من سطح الكعبة، إذا نزل عليها المطر أو غُسِلَت.

● والكسوة :

قيل: إن أول من كسا الكعبة هو تُبَّع الآخر اليماني (أسعد الحميري)[2] ملك اليمن في الجاهلية، وذلك قبل الإسلام بسبع مئة عام، وكانت الكعبة تكسى بالثوب الأبيض والأسود والأخضر والأصفر، إلى أن جاء الخليفة الناصر العباس[3]، فكساها دِيْبَاجاً أسود، فاستمر هذا الأمر إلى يومنا هذا[4].

---

(١) رواه أبو داود برقم (١٨٩٩)، وصححه الألباني، انظر «السلسلة الصحيحة» برقم (٢١٣٨).

تنبيه: رُوِيَ عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما دعا أحد بشيء في هذا الملتزم إلا استجيب له»؛ وهو لا يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال الألباني رحمه الله: موضوع، انظر «ضعيف الجامع» برقم (٥٠٦٤).

(٢) انظر «تفسير القرطبي» (٢/ ٨٦).

(٣) المتوفى سنة (٦٢٢هـ).

(٤) انظر «فتح الباري» (٣/ ٤٥٩) بتصرف.

القبلة قبل التوجه إلى الكعبة المشرفة :

كانت قِبْلَة المسلمين قبل التوجه إلى الكعبة المشرفة، بيت المقدس، وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ستة عشر شهراً، أو سبعة عشر شهراً، وحين كان في مكة، كان يجعل الكعبة بينه وبين بيت المقدس، فيصلي بين الركنين اليمانيين؛ أي: الركن اليماني والركن الذي فيه الحجر الأسود.

أين يقف الإمام عند الكعبة :

يختلف موقع الإمام عند الكعبة؛ فأحياناً يكون خلف باب الكعبة، وأحياناً بين الركنين اليماني والحجر الأسود، وللإمام أن يقف أمام الكعبة في أي مكان يريده.

من هو أول من طاف بالكعبة :

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «أول من طاف بالبيت الملائكة»[1].

المنبر في المسجد الحرام :

«كان الخطباء في البداية يقفون على الأرض في وجه الكعبة، أو في حِجْر الكعبة، ليلقوا خُطَبَهم.

وقيل: إن أول من أحضر منبراً ليخطب عليه هو معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وكان المنبر مصنوعاً من الخشب، وله درجات ثلاث.

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ٢٦٢)؛ بإسناد حسن، وهذا مما لا يقال من قبيل الرأي، والله أعلم.

وظل هذا المنبر قائماً بالحرم، تجري عليه الإصلاحات، ويقف عليه الخُطباء، حتى جاء هارون الرشيد فَغَيَّره، ثم توالت المنابر بعد ذلك؛ منها الطويل ذو الدرجات التسع، والأطول ذو الدرجات الأربع عشر، والذي يوجد حالياً منبر خشبي، مكون من ثلاث درجات»[1].

■ مراحل توسعة المسجد الحرام:

قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى: «إن المسجد الحرام كان صغيراً ولم يكن عليه جدار، إنما كانت الدور مُحَدّقة به، وبين الدور أبواب يدخل الناس من كل ناحية، فضاق على الناس المسجد، فاشترى عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوراً فهدمها، ثم أحاط عليه جداراً قصيراً، ثم وسع المسجد عثمان بن عفان رضي الله عنه، واشترى من قوم دوراً وأدخلها فيه، ثُمَّ زاد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في المسجد، واشترى دوراً وأدخلها فيه.

وأول من نقل إليه أساطين الرخام، وَسَقَفَه بالسّاج المزخرف الوليد بن عبد الملك.

ثمَّ زاد المنصور في شَقِّهِ الشامي، ثُمَّ زاد المهدي، ثمَ توالت الزيادات فيه إلى يومنا هذا»[2].

ولا يخفى على أحد ما تَمّ في عهد السعوديين من توسعات واعتناءات به.

فجزى الله الجميع خيراً.

---

(١) انظر «في رحاب البيت العتيق» (ص١١٩) بتصرف.

(٢) انظر «مثير العزم الساكن إلى أشرف الأماكن» (١/ ٣٥٨).

■ **المَطَاف :**

هو المساحة التي تحيط بالكعبة.

وقد أُجْرِيَتْ عليه توسعات كثيرة، وبُنِيَ على أرضه بنياناً من عِدة طوابق.

واسم المطاف أُخِذَ من طواف المسلمين حول الكعبة؛ أي: دورانهم، فيجعل الكعبة على يساره مبتدئاً من الحجر الأسود، ومنتهياً إليه، بسبعة أشواط.

■ **أبواب المسجد الحرام:**

«لقد جُعِلَ للمسجد الحرام الأبواب الكثيرة، وكلما حدثت توسعة له، زِيْدَ في عدد الأبواب، وهي تصل الآن إلى خمسة وتسعين باباً، لكل باب اسم ورقم خاص به، وبعض الأبواب لها رقم فقط»[1].

■ **ماء زمزم :**

هي البئر المشهورة في المسجد الحرام.

وقيل: سميت زمزم لكثرة مائها، وقيل: لضم هاجر لمائها حين انفجرت وزمها إياها، وقيل: لزمزمة جبريل وكلامه عند فجره إياها، وقيل غير ذلك.

قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: لقد جاء إبراهيم بأم إسماعيل وولدها، وهي ترضعه، حتى وضعهما عند البيت، عند دَوْحَة -أي: شجرة عظيمة-، فوق زمزم في أعلى المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء، فوضعهما هنالك، ووضع عندهما جِرَاباً فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم قَفَّى إبراهيم مُنْطَلِقَاً فتبعته أم

---

(١) انظر «في رحاب البيت العتيق» لمحيي الدين أحمد إمام (١١٤-١١٥).

إسماعيل، فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي، الذي ليس فيه إنس ولا شيء؟!، فقالت له ذلك مِرَاراً، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: أالله الذي أمرك بهذا؟، قال: نعم، قالت: إذن لا يضيعنا، ثم رجعت فانطلق إبراهيم، حتى إذا كان عند الثنية، حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيت، ثم دعا بهؤلاء الكلمات، ورفع يديه، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾[1]، وَجَعَلَتْ أم إسماعيل ترضع إسماعيل، وتشرب من ذلك الماء، حتى إذا نفذ ما في السقاء، عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوى أو يتلبط، فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه، ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف درعها، ثم سعت سعي الإنسان المجهود، حتى جاوزت الوادي، ثم أتت المروة، فقامت عليها، ونظرت، هل ترى أحداً، فلم تر أحداً، ففعلت ذلك سبع مرات، قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فذلك سعي الناس بينهما»، فلمّا أشرفت على المروة سمعت صوتاً، فقالت: صَهٍ تريد نفسها، ثم تَسَمَّعت، فسمعت أيضاً، فقالت: قد أَسْمَعْتَ إن كان عندك غَواثٌ، فإذا هي بالملك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه أو بجناحه حتى ظهر الماء، فجعلت

(١) سورة إبراهيم:٣٧.

تُحَوِّضهُ وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف من الماء في سقائها، وهو يفور بعدما تغرف، قال ابن عباس: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم، أو قال: لو لم تغرف من الماء، لكانت زمزم عيناً معيناً»، قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملك: لا تخافوا الضَّيْعَة؛ فإن ها هنا بيت الله، يبني هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله[1].

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «خير ماء على وجه الأرض ماء زمزم؛ فيه طَعام من الطُّعْم، وشِفَاء من السُّقْمِ»[2].

وقال صلى الله عليه وسلم: «ماء زمزم لما شُرِبَ له»[3].

وفي رواية أخرى:«ماء زمزم لما شُرِبَ له؛ إن شَرِبْتَه تَسْتَشْفِي شفاك الله، وإن شَرِبْتَهُ لِشِبَعِكَ أَشْبَعَكَ الله، وإن شربته لِقَطْعِ ظَمَئِكَ قَطَعَه الله، وهي هَزْمَة جبرائيل، وسُقْيَا الله إسماعيل»[4].

ولقد بَقِيَ أبو ذر الغفاري رضي الله عنه في قصة إسلامه ثلاثين يوماً، ما كان له

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٣٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١١/ ٩٨)، وصححه الألباني، انظر: «السلسلة الصحيحة» برقم (١٠٥٦).

(٣) رواه أحمد (٣/ ٣٥٧)، وصححه الألباني، انظر «إرواء الغليل» برقم (١١٢٣).

(٤) رواه الدارقطني في «سننه» (٢/ ٢٨٩)، وحسنه الألباني، انظر «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١١٦٤)، ومعنى قوله: «هزمة جبرائيل» أي: غمزته بعقب رجله أو بجناحه.

طعام إلا ماء زمزم، ولقد سَمِنَ ولم يَشْعُر بالجوع[1].

ومكان ماء زمزم الآن موجود تحت أرض المطاف، يُنْزَل إليه بدرج من خارج منطقة المطاف.

ويستحب حمل ماء زمزم ونقله إلى كل مكان.

فقد جاء عن عائشة رضي الله عنها، أنها كانت تحمل ماء زمزم، وتقول: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل ماء زمزم في الأَدَاوَى والقِرَب، وكان يَصُبّ على المرضى ويسقيهم»[2].

■ المسعى:

هو المكان الذي يُسْعَى ويُمْشَى فيه سريعاً.

وهو المساحة الممتدة بين الصفا والمروة.

ويبلغ طوله (٤٠٥) متراً، وعرضه (١٠) أو (١٢) متراً.

وهذه المساحة مقسمة إلى ثلاثة أقسام؛ يمشي الساعي في القسمين المتطرفين، ويهرول في القسم الأوسط، وهو الذي يعرف بالمساحة بين الميلين الأخضرين، وهما عمودان أخضران، وتبلغ المساحة بينهما (٧٥) متراً، والمساحة من الصفا إلى

---

(١) رواه البخاري برقم (٣٥٢٢)، ومسلم برقم (٢٤٧٤)، واللفظ لأحمد (٥/ ١٧٤).

(٢) رواه الترمذي برقم (٩٦٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٠٢) وصححه الألباني، انظر «السلسلة الصحيحة» برقم (٨٨٣).

الميل الأخضر الأول (٧٠) متراً، ومن الميل الأخضر الآخر إلى المروة (٢٦٠) متراً.

وقد سبق عند ذكر «ماء زمزم» قصة المسعى، وأنه سُنّة أم إسماعيل هاجر زوج إبراهيم عليه السلام.

تنبيه: المسعى ليس من المسجد الحرام، بل هو خارج عن المسجد الحرام، وهو مفصول عنه بجدر على امتداده.

تنبيه: حول حكم السعي في سطح المسعى أو الطابق الثاني.

سئل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى: ما حكم السعي في سطح المسعى أو الطابق الثاني أو في الخلوة – القَبو –، وهل يصح السعي بها، وهل تنصح به عند الزحام؟.

فأجاب: أما السعي فوق، سواء في السطح الأعلى أو في الأوسط فهذا لا بأس به، وأما في الخلوة أو في القَبو فلا أعرف أن تحت المسعى قَبْوَاً، فليس تحته قبو، وعلى هذا يكون محل السعي ثلاثة: الأرض، والسطح الذي فوقها، والسطح الأعلى، ولو بنو سطحاً رابعاً فلا حرج، ولو بنوا خامساً فلا حرج، لأن الهواء تابع القرار، كما أنه لو قدر أنه فتح قبو على طول المسعى فإنه يجزئ السعي فيه، والطواف أيضاً يجزئ في السطح الأعلى وفي السطح الأوسط[1].

---

(١) انظر «اللقاء الشهري» (١/ ٣٠٣).

■ الصفا والمروة[1]:

هما الجبلان الواقعان في طرفي المسعى.

فالصفا: هي الحجارة الصلبة التي لا تنبت، والمروة: هي الحجارة اللينة الرخوة.

والصفا هو مبدأ السعي، والمروة هو منتهى السعي.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2].

وعن عروة بن الزبير، عن عائشة رضي الله عنها، قال: قلت لها: إني لأظن رجلاً لو لم يَطُف بين الصفا والمروة ما ضره،قالت: لم؟، قلت: لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ إلى آخر الآية، فقالت: ما أتم الله حج امرئ ولا عمرته لم يطف بين الصفا والمروة، ولو كان كما تقول لكان: (فلا جناح

---

(١) قيل: إنه لما أُهبط آدم إلى الأرض، أُهبط على الصفا، ولذلك سمي الصفا؛ لأن المصطفى آدم أُهبط عليه، فقطع للجبل اسم من اسمه، وأُهبطت حواء على المروة؛ وإنما سميت المروة مروة؛ لأن المرأة أُهبطت عليه، فقطع للجبل اسم من اسم المرأة.

وقيل: إن الصفا اسم رجل، والمروة اسم امرأة، زنيا في الكعبة، فمسخهما الله تعالى حجرين، فوضع كل حجر على جبل ليعتبر ويتعظ الناس، ثم سمو كل جبل باسم الحجر الذي عليه.

وقيل غير ذلك... ولكن لا يثبت ولا يصح شيء من هذا كله.

(٢) سورة البقرة:١٥٨.

عليه أن لا يطوف بهما)، وهل تدري فيما كان ذاك؟، إنما كان ذاك، أن الأنصار كانوا يُهِلّون في الجاهلية لِمَنَاة الطاغية التي كانوا يعبدونها، ثم يجيئون فيطوفون بين الصفا والمروة، ثم يحلقون، فلما جاء الإسلام كرهوا أن يطوفوا بينهما، للذي كانوا يصنعون في الجاهلية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ إلى آخرها، فطافوا[1].

■ مِـنَى:

سميت بمنى لما يُمْنَى فيها من الدماء؛ أي: لكثرة ما يُراق فيها من دماء الأنعام في أيام التشريق[2].

«وهي المنطقة التي تقع بين مكة ومزدلفة، وهي أحد الأماكن الهامة في نسك الحج، حيث توجد هناك الجمرات الثلاث؛ وهي جمرة العقبة، والجمرة الوسطى، والجمرة الصغرى»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٦٤٣)، ومسلم برقم (١٢٧٧).

(٢) وقيل غير ذلك؛ فقد نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: سُمِّيت منى لأن جبريل عليه السلام حين أراد أن يفارق آدم، قال له: تَمَنَّ، قال: أتمنى الجنة، فسميت منى لأمنيته عليه السلام.

وقيل: سميت منى لاجتماع الناس بها، والعرب تقول لكل مكان يجتمع فيه الناس: منى.

وقيل: لِمَنِّ الله تعالى على الخليل بفداء ابنه فيها.

وقيل: لِمَنِّ الله فيها بالمغفرة على عباده.

انظر «بحوث عن مشاعر الحرم» لعبد الله نذير أحمد مزي (ص١١١-١١٢) بتصرف.

(٣) انظر «في رحاب البيت العتيق» (ص٢٢٢).

«وحدودها – على الراجح – من مبتدأ جمرة العقبة إلى وادي مُحَسِّر، وأما جبالها المحيطة بجنباتها، فما أقبل منها على مِنَى فهو منها، وما أدبر من الجبال فليس منها.

فيكون حَدّها من الغرب مبتدأ جمرة العقبة، وهو مجتمع الحصا لا نفس الشاخص، ولا مسيل الحصا فهي ليست من منى، وحَدّها من الشرق فهو وادي مُحَسِّر، وليس الوادي من منى، ومن الشمال الجبل المسمى القابل، وما أقبل منه على منى فهو منها، ومن الجنوب فهو الجبل المسمى الصايح، وما أقبل منه على منى فهو منها»[1].

■ الجمرات - أو الجِمَار-:

هي جمع جمرة؛ أي: الحصا الصغيرة.

وسميت بالجمرات لاجتماع الحصا وكثرته فيها.

وهي المواضع التي ترمى بالحصا في مِنَى.

وهي من مِنَى إلاَّ جمرة العقبة.

والجمرات ثلاثة:

الجمرة الأولى – وتُسمى الصُّغرى أو الدُّنيا -: وهي أول جمرة بعد مسجد الخَيْف بمنى، وسُمّيت دُنْيَا من الدُّنُوّ؛ لأنها أقرب الجمرات إلى مسجد الخَيْف.

والجمرة الثانية -وتُسمى الوسطى -: وهي بعد الجمرة الأولى، وقبل جمرة العقبة.

---

(١) انظر «بحوث عن مشاعر الحرم» (ص١١٨-١٢١) بتصرف.

والجمرة الثالثة – وتُسمى الكبرى أو جمرة العقبة -: وهي تقع في آخر مِنَى تجاه مكة، وليست من مِنَى – على الراجح –»[1].

وهي – أي: جمرة العقبة – المكان الذي بايع الأنصارُ بالقرب منها رسولَ الله صلى الله عليه وسلم.

وسميت بالعقبة حيث كانت توجد عقبة بجانبها؛ أي: جبل يعوق الحركة بسهولة [2].

ورَمْيُ الحصا في هذه المواضع، هو سنة إبراهيم عليه الصلاة والسلام؛ كما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما أتى إبراهيم خليل الله صلوات الله عليه وسلامه المناسك عَرَضَ له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض، ثم عَرَضَ له عند الجمرة الثانية، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض ثم عَرَضَ له عند الجمرة الثالثة، فرماه بسبع حصيات، حتى ساخ في الأرض»، قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الشيطان ترجمون، وملة أبيكم إبراهيم تتبعون[3].

وقد جاء في رواية أخرى: «أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أُمر بذبح

---

(١) انظر «الموسوعة الفقهية الكويتية» (٢٣/ ١٥٠) بتصرف يسير.

(٢) انظر «في رحاب البيت العتيق» (ص٢٢٢).

(٣) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٣١٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٣٨)، وصححه الألباني، انظر «صحيح الترغيب والترهيب» برقم (١١٥٦).

إسماعيل عليه الصلاة والسلام، هَمَّ أن يذبحه عند جمرة العقبة، استجابة لأمر الله تعالى، فَعَرَضَ له الشيطان، فرماه بسبع حصيات، وهكذا عند الجمرة الوسطى، وهكذا عند الجمرة القصوى، ثم فداه الله تعالى بذِبْحٍ عظيم، فنظر إبراهيم عليه السلام، فإذا هو بكبش أبيض أقرن»[1].

■ مسجد الخَيْف:

من أهم ما في مِنَى غير الجمرات، مسجد الخَيْف.

وهذا المسجد في الجهة الجنوبية على يمين القادم من مكة، وعلى يسار القادم من عرفات.

وسُمِّيَ بالخَيْف؛ لأنه مرتفع عن الوادي، وما ارتفع عنه يُسَمَّى خَيْفَاً.

قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه: «صلى في مسجد الخَيْف سبعون نبياً»[2].

■ عرفة أو عرفات:

سُميت بذلك؛ قيل: لتعارف آدم وحواء فيها [3]، وقيل: لأن جبريل عليه السلام عَرّف فيها إبراهيم عليه السلام المناسك، ثم سأله: هل عرفت؟ قال

---

(١) رواه أحمد (١/ ٢٩٧) وغيره.

(٢) رواه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥٢)، وحسنه الألباني؛ انظر «تحذير الساجد» (ص٧٣).

(٣) قيل: إن آدم وحواء لما أهبطا إلى الأرض، أهبط آدم بالهند، وأهبطت حواء في جدة، ثم التقيا في عرفات، فتعارفا فيها، فسميت بذلك، وهذا لا يصح ولا يثبت.

إبراهيم: نعم[1]، وقيل: لأن الناس يَعْتَرِفُون فيها بذنوبهم، وقيل غير ذلك.

وهي مَشْعر[2] حلال؛ فهي خارج حدود الحرم، لأنها واقعة في الحِلّ.

«وحدودها هي:

الحد الشمالي: ملتقى وادي وَصِيق بوادي عُرَنة، والحد الجنوبي: ما بعد مسجد نَمِرَة جنوباً بنحو كيلو ونصف، والحد الغربي: هو وادي عُرَنَة، ويمتد هذا الحد من ملتقى وادي وَصِيق حتى يحاذي جبل نَمِرَة، والحد الشرقي: هي الجبال المحيطة المقوسة على ميدان عرفات من الثنية التي ينفذ معها طريق الطائف، وتستمر سلسلة تلك الجبال شمالاً حتى تنتهي سفوحها عند ملتقى وصيق بِعُرَنة»[3].

- **جبل عرفة:**

ويسمى جبل الرحمة، وجبل الآل:

وهو جبل صغير يقع شرقي عرفات، يبلغ ارتفاعه (٦٥) متراً تقريباً.

ولا يثبت في خصوص هذا الجبل شيء، بل هو كسائر أرض عرفة.

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله تعالى: «اعلم أن الصعود على جبل الرحمة الذي يفعله كثير من العوام لا أصل له، ولا فضيلة فيه؛ لأنه لم يرد بخصوصه شيء، بل هو كسائر أرض عرفة، وعرفة كلها موقف»[4].

---

(١) وهذا ينقل عن بعض الصحابة رضي الله عنهم جميعاً.

(٢) أي: مَعْلَم.

(٣) انظر «توضيح الأحكام من بلوغ المرام» للبسام (٣/ ٧).

(٤) انظر «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٥/ ٢٦٣).

■ **مسجد الصخرات:**

«وهو في عرفات، أسفل جبل عرفة، على يمين الصاعد إليه، وهو مرتفع قليلاً عن الأرض، يحيط به جدار قصير، وفيه صخرات كبار، وقف عندها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة، وهو على ناقته القصواء؛ كما في حديث جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر والعصر في موضع المسجد»[1].

■ **المُزْدَلِفَة :**

سميت بالمزدلفة؛ لأنها ازدلفت من مِنَى؛ أي: اقتربت، وقيل: هي من أَزْلَفْتَ الشيء؛أي: جمعته، فسميت بمزدلفة لاجتماع الناس بها، وقيل: سميت بذلك لمجيء الناس في زُلَفِ الليل؛ أي: ساعاته.

وتسمى أيضاً: بالجمع، لاجتماع الناس بها، وقيل: للجمع بين الصلاتين.

وتسمى أيضاً: بالمَشْعَر الحرام، ووصف بالحرام؛ لأنه داخل حدود الحرم، فلا يحل صيدها لمحرم ولا لغيره، ولا يقطع شجرها، وغير ذلك مما هو منهي عنه.

وحدودها هي: الحد الشرقي: من مفيض المَأْزِمَيْنِ[2] الغربي، والحد الغربي: وادي مُحَسِّر، والحد الشمالي: جبل ثَبِير، والحد الجنوبي: جبال المريخيات [3].

---

(١) انظر «دليل الحاج» (ص٦٣)، وحديث جابر رضي الله عنه، رواه مسلم برقم (١٢١٨).

(٢) أي: الجبلين الواقعين فيما بين عرفة والمزدلفة.

(٣) انظر «توضيح الأحكام شرح بلوغ المرام» (٣/ ٨).

وفي وسط المزدلفة يقع المشعر الحرام،ويسمى قزح.

وهو جبل صغير، بُنِيَ عليه المسجد الموجود الآن في المزدلفة، ومكتوب عليه «المشعر الحرام»، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾[1].

وعن عروة بن مُضَرِّس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفاً بالمزدلفة، فقال صلى الله عليه وسلم: «من شهد صلاتنا هذه – أي: الفجر –، ووقف معنا حتى ندفع، وقد وقف بعرفة قبل ذلك ليلاً أو نهاراً، فقد تمّ حَجّه»[2].

■ وادي مُحَسِّر:

هو الوادي الذي عَذّب الله تعالى عنده أَبْرَهَة الحبشي، ومنعه من دخول الحرم، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جنده طيراً أبابيل[3]، ترميهم بحجارة من سجيل[4]، فجعلهم الله كعصف مأكول[5]، والقصة مشهورة.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٨.

(٢) رواه أبو داود برقم (١٩٥٠)، والترمذي برقم (٨٩١)، وصححه الألباني، انظر «صحيح سنن أبي داود» برقم (١٧١٨).

(٣) أي: جماعات.

(٤) أي: طين متحجر قاسي.

(٥) أي: كورق زرع أكلته الدواب.

وسُمِّي مُحَسِّراً؛ لأن الفيل الذي أتى به أبرهة الحبشي ليهدم الكعبة، بقي مَحْسُوراً قاعداً لا يستطيع القيام.

ويقع هذا الوادي بين مزدلفة وبين مِنَى.

وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أَوْضَع في وادي مُحَسّر[1].

ومعنى قوله: «أوضع»؛ أي: أسرع السير.

فَيُسَنّ الإسراع فيه؛ لأنه موضع عذاب.

■ وادي عُرَنَة، أو بطن عُرَنَة:

هو موضع بين مِنَى وعرفة، وعلى الراجح أنه ليس من عرفة، بل محاذي لها؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عرفة كلها موقف، وارفعوا عن بطن عُرَنَة...»[2].

- ومسجد نَمِرَة:

الجزء المُقَدَّم منه يقع في هذا الوادي، والجزء المؤخر منه – لا سيما بعد توسعته – يقع في عرفة.

والمراد بالجزء المقدم: جهة القبلة – مقام الإمام –.

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٣٠١)، والترمذي برقم (٨٨٦)، والنسائي (٥/ ٢٦٧)، وصححه الألباني، انظر «صحيح سنن الترمذي».

(٢) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ٢٥٤)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» (٤/ ١٠٨) وقوله: «ارفعوا»، أي: تجاوزها ولا تقفوا فيها.

وجاء في حديث جابر رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم أجاز حتى أتى عَرَفة، فوجد القُبَّة قد ضُرِبَتْ له بِنَمِرَة، فنزل بها حتى إذا زالت الشمس، أمر بالقصواء فَرُحِّلَتْ له،فأتى بطن الوادي، فخطب الناس، ثم أذن، ثم أقام، فصلى الظهر، ثم أقام، فصلى العصر، ولم يصل بينهما شيئاً...[1].

■ **التنعيم :**

هو حَدّ الحرم من جهة المدينة.

وهذا الموضع قريب من مكة، بينه وبينها حوالي خمسة كيلو مترات.

- **وفيه مسجد عائشة، ويُسَمّى مسجد التنعيم :**

ومكان هذا المسجد هو الذي بعث النبيُّ صلى الله عليه وسلم عائشةَ رضي الله عنها، وأخاها عبد الرحمن بن أبي بكر، لتُحْرِمَ بالعمرة؛ والحديث بتمامه هو: أن عائشة رضي الله عنه قالت: خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من كان معه هدي فَلْيُهِلّ بالحج مع العمرة، ثم لا يَحِلّ حتى يحل منهما جميعاً». فقدمتُ مكة وأنا حائض ولم أَطُف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت ذلك إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «انقضي رأسك وامتشطي وَأَهِلِّي بالحج وَدَعِي العمرة». فَفَعَلْتُ، فلما قضينا الحج، أرسلني النبي صلى الله عليه وسلم مع عبد الرحمن بن أبي بكر إلى التنعيم، فاعتمرتُ فقال: «هذه مكان عمرتك»، قالت: فطاف الذين كانوا أَهَلُّوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم حَلّوا، ثم طافوا طوافاً واحداً بعد

---

(١) رواه مسلم برقم (١٢١٨).

أن رجعوا من مِنَى، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة، فإنما طافوا طوافاً واحداً[1].

تنبيه: قال ابن القيم رحمه الله: «ولم يكن في عُمْرِهِ عُمْـرَة واحـدة خارجـاً مـن مكة، كما يفعل كثير من الناس اليوم، وإنما كانت كلها داخلاً إلى مكة، وقـد أقـام بعد الوحي بمكة ثلاث عشر سنة، لم يُنْقَل عنه أنه اعتمر خارجاً من مكة، في تلك المدة أصلاً فالعمرة التي فعلها رسول الله صـلى الله عليـه وسـلم وشرعهـا، هـي عُمرة الداخل إلى مكة لا عُمرة من كان بها فيخرج إلى الحِلّ ليعتمر، ولم يفعل هذا على عهده أحد قط إلا عائشة وحدها بين سائر من كـان معـه؛ لأنهـا كانـت قـد أَهَلَّتْ بالعمرة، فحاضت، فأمرها، فَأَدْخَلَت الحج على العمرة، وصارت قَارِنَـةً، وَأَخْبَرَهَا أنّ طوافها بالبيت وبين الصفا والمروة قد وقـع عـن حجتهـا وعمرتهـا، فوجدت في نفسها أن يرجـع صَـواحباتها بحـج وعمـرة مـستقلين، فـإنَهُنّ كُـنَّ مُتَمَتِّعَاتٍ، ولم يحضْن، ولم يَقْرِنّ وترجع هي بعمرة في ضمن حجتها، فأَمَرَ أخَاهَـا أن يُعْمِرهَا مِنْ التنعيم تَطْيِيباً لقلبها، ولم يعتمر هو من التنعيم في تلك الحجـة ولا أحد ممن كان معه»[2].

■ ذو طُوَى:

هو وادٍ مِن أودية مكة، ويُسَمّى بآبار الزَّاهر.

وهو في طريق التنعيم، يبعد حوالي خمسة كيلو مترات.

---

(١) رواه البخاري برقم (١٦٣٨)، ومسلم برقم (١٢١١).

(٢) انظر «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٢/ ٩٤).

ويستحب فيه الاغتسال؛ لما جاء عن نافع، قال: كان ابـن عمـر رضي الله عنـه إذا دخل أدنى الحرم أمسك عن التَلْبِيَة، ثم يَبِيْتُ بذي طُوَى، ثم يُصلي به الصبح، ويغتسل، ويُحَدِّث أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعل ذلك[1].

■ الحُدَيْبية :

هي قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت باسم بئرٍ؛ أي: أن الحُدَيبية اسم بئر سُمِّيَ بها مكانها.

وهي بين طريق جدة وطريق المدينة، بين جبلين، على ستة فراسـخ مـن مكـة؛ أي: قريباً من ثلاثين كيلو متراً.

وعُمْرَة الحديبية: هي تلك العُمرة التي أحرم النبي صلى الله عليـه وسـلم عـام الحديبية شهر ذي القعدة سنة ست للهجرة؛ خرج صلى الله عليه وسلم معتمراً لا يريد حرباً وساق معه الهـدي، فلـما سـمعت بـه قـريش خرجـوا إلى ذي طُـوَى، يعاهدون الله لا يدخلها عليهم أبداً، ثم جرى هناك الصلح بينه وبين سـهيل بـن عمرو، وأحل رسول الله صلى الله عليه وسلم من إحرامه.

- وفيها مسجد الشجرة:

وسُمِّيَ بالشجرة؛ للشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها المسلمين؛ قال الله تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ۝ وَمَغَانِمَ

(١) رواه البخاري برقم (١٥٧٣)، ومسلم برقم (١٢٥٩).

كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾[1].

وتُسَمّى هذه البيعة ببيعة الرضوان، وكذلك المسجد يُسَمّى بمسجد الرضوان.

■ **حُنَين:**

تقع على الطريق من مكة إلى الطائف.

وهي مكان المعركة الشهيرة بين المسلمين وبين هوازن وثقيف، بعد فتح مكة، في سنة ثمان من الهجرة النبوية.

وسبب هذه الغزوة أن مالك بن عوف النضري جمع القبائل من هوازن، ووافقه على ذلك الثقفيون، وأرادوا محاربة المسلمين، وبلغ عددهم عشرون ألفاً، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخرج إليهم، بإثني عشر ألفاً.

قال الله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الفتح:١٧.

(٢) سورة التوبة:٢٥-٢٦.

■ المُعَلاة :

هي المكان المرتفع عن مستوى الحرم.

وهي مقبرة مكة منذ العهد الجاهلي، ودفن فيها كثير من الصحابة، وفيها قبر السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وغيرهما كثير.

وروي فيها حديث ضعيف؛ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نِعْمَ المقبرة هذه»[1].

ويوجد بالقرب من المقبرة **مسجد الجن**؛ قيل: إنه المكان الذي نزلت فيه سورة: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا﴾[2].

■ المُحَصِّب :

«وهو سهل بين مكة ومِنَى، على يسار الذاهب إلى منى، وهو الموضع الذي تتجمع فيه الحصباء من السيول، ويُسَمَّى بالأبطح؛ أي: ما انبطح من الوادي واتسع.

وهو منزل نزله الرسول صلى الله عليه وسلم.

فعن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: المُحَصِّب ليس بشيء، وإنما هو منزل نزله رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) رواه أحمد (١/ ٣٦٧)، وضعفه الألباني، انظر «الضعيفة» برقم (٦٢٤٤).

(٢) سورة الجن:١.

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: إنما كان النبي صلى الله عليه وسلم ينزل به –أي: المُحَصِّب–؛ لأنه كان أسمح لخروجه حين يخرج، فمن شاء نزله، ومن شاء تركه.

وهذا المكان اليوم هو المعروف بِحَيّ المعابدة نسبة إلى امرأة تُسَمَّى أُمّ عابد؛ كانت تسكن في هذا المكان.

وقد بات فيه صلى الله عليه وسلم ليلة واحدة بعد حجة الوداع، وهو في طريقه لطواف الوداع بعد تمام الحج.

وقد بُنِيَ في موضع نزوله صلى الله عليه وسلم بالمُحَصِّب مسجد يُسَمَّى بمسجد المحصب» [1].

■ أَهَمُّ جِبَال مكة :

● الأَخْشَبَان:

هما تثنية أخشب؛ وهو الجبل الغليظ الصلب.

وهذان الجبلان: هما جبل أبي قُبَيْس، وجبل قُعَيْقِعَان[2].

وجبل أبي قُبَيْس هو من أشهر جبال مكة، وقيل: سُمِّيَ باسم أبي قُبَيْس؛ لأن أول من قام فيه بالبناء رجل يُسَمَّى «أبو قُبَيْس».

ويُقَابله جبل قُعَيْقعَان، وسُمِّي بقُعَيْقعَان لِتَقَعْقُع السلاح في المعركة بين جُرْهُم وقَطُور.

---

(١) انظر «في رحاب البيت العتيق» (ص٧٥) بتصرف.

(٢) وقيل: الجبل الأحمر.

وهذان الجبلان تقع مكةُ بينهما.

وهما الجبلان اللذان جاء ذكرهما في حديث عائشة رضي الله عنها، حين قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أُحد؟ قال: لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة؛ إذ عَرَضْتُ نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلاَل فلم يجبني إلى ما أردتُ فانطلقتُ وأنا مهموم على وجهي، فلم استفق إلاّ وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني، فقال: إن الله قد سمع قول قومك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال، فسلم عليَّ، ثم قال: يا محمد، ذلك فيما شئت؛ إن شِئْتَ أن أُطْبِق عليهم الأخشبين؟، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «بل أرجو أن يُخْرِجَ الله من أصلابهم، مَن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً»[1].

ويقع جبل أبي قُبَيْس شرقي مكة مشرفاً على الصفا، والصفا تعتبر جزء من جبل أبي قبيس، ويقع جبل قُعَيْقعَان غربي مكة.

تنبيه: يقال – أيضاً – لجبلي مِنَى الأخشبان؛ وهما الجبلان اللذان مَرّ النبي صلى الله عليه وسلم بينهما ليلة النَّفْر من عرفة إلى المزدلفة؛ ويسميان: جبل الصَّايح، وجبل القَابل، ويقال لهما: المَأْزَمَان.

- **جبل حِرَاء، ويسمى جبل النور:**

يقع بأعلى مكة من جهة الشمال، على يسار الذاهب من مكة إلى مِنَى فعرفة.

(١) رواه البخاري برقم (٣٢٣١)، ومسلم برقم (١٧٧١).

ويبعد عن مكة ثلاثة كيلو مترات تقريباً، ويبلغ ارتفاعه مئتي متر تقريباً.

ويُنْقَل أن في هذا الجبل يقع الغار، الذي كان يتعبد فيه النبي صلى الله عليه وسلم قبل البعثة، حتى جاء الوحي، وأُنزلتْ عليه صلى الله عليه وسلم فيه سورة «اقرأ».

• جبل ثور:

يقع بأسفل مكة جنوباً، ويبعد عن مكة حوالي خمسة كيلو مترات.

ويُنْقَل أن هذا هو الجبل الذي فيه الغار، الذي أَوَى إليه النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبو بكر رضي الله عنه يوم الهجرة.

قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[1].

تنبيه: قصة العنكبوت والحمامة، في طريق هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه حينما كانا في الغار، مشهورة في كتب السيرة، ولكنها لا تثبت ولا تصح[2].

***

(١) سورة التوبة: ٤٠.

(٢) انظر تعليق الشيخ الألباني رحمه الله تعالى على كتاب «فقه السيرة للغزالي» (ص١٦٣).

تعظيم شعائر[1] الله - تعالى -

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾[2].

وتعظيم شعائر الله، دليل على وجود التقوى المهيمنة على القلوب، والانصياع لأوامر الله، واتباع أحكامه وتوجيهاته، وأدائها على وجهها، في اطمئنان، وإخبات لله، وولاء لجلاله وعظمته.

واعلموا أن المخلص الذي تكون التقوى متمكنة في قلبه؛ فإنه يبالغ في أداء الطاعات على سبيل الإخلاص لربه سبحانه.

«وإن من شعائر الله مناسك الحج والعمرة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[3].

فلنعظم هذه المناسك؛ فإنها عبادة عظيمة، وتعظيمنا لها يكون بالقيام بما أوجب الله تعالى علينا فيها، والبعد عما حرم الله تعالى علينا فيها.

قال الله تعالى: ﴿فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي

---

(١) قال أهل العلم: الشعائر، جمع شعيرة؛ وهي كل ما أشعر الله بتعظيمه؛ يعني: أعلم بتعظيمه.

(٢) سورة الحج:٣٢.

(٣) سورة البقرة:١٥٨.

ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾[1]»[2].

* * *

(١) سورة البقرة:١٩٧.

(٢) انظر «الضياء اللامع من خطب الجوامع» لابن عثيمين، الخطبة الرابعة، من محظورات الإحرام بتصرف يسير.

محاسن وأسرار الحج

«الحج مظهر عملي للأخوة الأسلامية، ووحدة الأمة الإسلامية، حيث تذوب في الحج فوارق الأجناس والألوان واللغات والأوطان والطبقات، وتبرز حقيقة العبودية والأخوة.

فالجميع بلباس واحد، يتجهون لقبلة واحدة، ويعبدون ألهاً واحداً.

والحج مدرسة يتعود فيها المسلم على الصبر، ويتذكر فيها اليوم الآخر وأهواله، ويستشعر فيه لذة العبودية لله، ويعرف عظمة ربه، وافتقار الخلائق كلها إليه.

والحج موسم كبير لكسب الأجور، تضاعف فيه الحسنات، وتُكَفَّر فيه السيئات، يقف فيه العبد بين يدي ربه مُقِرّاً بتوحيده، معترفاً بذنبه وعجزه عن القيام بحق ربه.

فيرجع من الحج نقياً من الذنوب كيوم ولدته أُمّه.

وفي الحج تذكير بأحوال الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام وعباداتهم، ودعوتهم، وجهادهم، وأخلاقهم، وتوطين النفس على فراق الأهل والولد.

والحج ميزان يعرف به المسلمون أحوال بعضهم، وما هم عليه من علم أو جهل أو غنى أو فقر، أو استقامة أو انحراف»[1].

❊❊❊

(١) انظر «مختصر الفقه الإسلامي» لمحمد التويجري (ص٦٤٧).

البيان المختصر لأعمال الحج

■ فضل الحج والعمرة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من حج لله، فلم يرفث ولم يفسق، رجع كيوم ولدته أُمُّه» [2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم -في حديث طويل-: «أمَّا خروجك من بيتك تؤم البيت الحرام، فإن لك بكل وَطْأَة تَطَؤُها راحلتك، يكتب الله لك بها حسنة، ويمحو عنك بها سيئة، وأما وُقُوفك بعرفة، فإن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا، فيباهي بهم الملائكة، فيقول: هؤلاء عبادي جاؤوني شُعْثاً غُبْراً من كل فج عميق، يرجون رحمتي، ويخافون عذابي، ولم يروني فكيف لو رأوني؟، فلو كان عليك مثل رمل عالج، أو مثل أيام الدنيا، أو مثل قطر السماء ذنوباً غسلها الله عنك، وأما رميك الجمار فإنه مدخور لك، وأما حلقك رأسك، فإن لك بكل شعرة تسقط حسنة، فإذا طُفْتَ بالبيت خرجت من ذنوبك كيوم ولدتك أُمّك»[3].

---

(١) رواه البخاري برقم (١٧٧٣)، ومسلم برقم (١٣٤٩) (٤٣٧).

(٢) رواه البخاري برقم (١٥٢١)، ومسلم برقم (١٣٤٩) (٤٣٦)، وقوله: «يرفث» أي: لم يأتِ بأقوال صريحة تدعو لجماع المرأة.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (١٣٥٦٦)، وحسنه الألباني، انظر «صحيح الجامع» برقم (١٣٦٠)، وقوله: «تؤم» أي: تقصد، وقوله: «شعثاً» أي: رؤوسهم=

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تابعوا بين الحج والعمرة؛ فإنهما ينفيان الفقر والذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة،وليس للحجة المبرورة ثواب إلا الجنة»[1].

■ الأنساك :

واعلم أن الأنساك ثلاثة، التمتع، القِرَان، والإفراد، وأفضلها التمتع – وهو الذي سأُبينه هنا –، وأما القِرَان فهو أن تحرم بالعمرة والحج معاً، قائلاً: لبيك اللهم عمرة وحجاً، ولا يحل منه إلا يوم النحر، والإفراد هو أن تحرم بالحج قائلاً: لبيك اللهم حجاً، ولا يحل منه إلا يوم النحر.

وعلى من نوى حج التمتع أداء العمرة خلال أشهر الحج؛ وهي: شوال، وذو القعدة، وأول عشرة أيام من ذي الحجة.

■ صفة حج التمتع :

- عند الوصول إلى الميقات[2]، يستحب الاغتسال والتطيب في الجسد دون

=مغبرة، وقوله: «غبراً» أي: أجسامهم مغبرة، وقوله: «فج» أي: طريق. وقوله: «رمل عالج» العالج ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض، وهو أيضاً اسم لموضع كثير الرمال، وقوله: «قطر السماء» أي: مطره.

(1) رواه الترمذي برقم (٨١٠)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» برقم (١٢٠٠)، وقوله: «وتابعوا بين الحج والعمرة»؛ قال الطيبي رحمه الله: «أي: إذا اعتمرتم فحجوا، وإذا حججتم فاعتمروا».

(2) المواقيت خمسة – وأذكرها هنا من كتاب «مختصر الفقه الإسلامي» (ص٦٥٣) –؛ وهي: =

لباس الإحرام [1].

- ثم يلبس ملابس الإحرام؛ أي: الرجل، أما المرأة فتبقى كما هي في لباسها الشرعي.
- ويستحب لمن كان ميقاته ذا الحليفة أن يصلي فيها، لا لخصوص الإحرام، وإنما لخصوص المكان وبركته.

= ١- ذو الحليفة: وهو ميقات أهل المدينة ومن مَرّ بها، ويبعد عن مكة (٤٢٠) كيلو متراً تقريباً، وهو أبعد المواقيت عن مكة، ويسمى (وادي العقيق)، ومسجدها يسمى مسجد الشجرة، وهو جنوب المدينة بينه وبين المسجد النبوي (١٣) كيلو متراً، وتستحب الصلاة في هذا الوادي المبارك.

٢- الجحفة: وهي ميقات أهل الشام ومصر ومن حاذاها أو مَرّ بها، وهي قرية قُرب رابغ، وتبعد عن مكة (١٨٦) كيلو متراً تقريباً، ويحرم الناس الآن من (رابغ) الواقع غرباً عنها.

٣- يلملم: وهو ميقات أهل اليمن ومن حاذاها أو مَرّ بها، ويلملم وادٍ يبعد عن مكة (١٢٠) كيلو متراً تقريباً، ويسمى الآن (السعدية).

٤- قرن المنازل: وهو ميقات أهل نجد والطائف ومن حاذاه أو مَرّ به، وهو المشهور الآن بـ (السيل الكبير)، بينه وبين مكة (٧٥) كيلو متراً تقريباً.

٥- ذات عرق: وهو ميقات أهل العراق ومن حاذاها أو مَرّ بها، وهي وادٍ، وتُسَمّى (الضريبة)، بينها وبين مكة (١٠٠) كيلو متراً تقريباً.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وَقَّتَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل المدينة ذا الحليفة، ولأهل الشام الجحفة، ولأهل نجد قرن المنازل، ولأهل اليمن يلملم؛ هن لهم ولمن أتى عليهن من غيرهن، ممن أراد الحج والعمرة، ومن كان دون ذلك فمن حيث أنشأ، حتى أهل مكة من مكة. [رواه البخاري برقم (١٥٢٤)، ومسلم برقم (١١٨١)].

(١) وله أن يلبس ملابس الإحرام في بيته، ولكنه لا يحرم إلا عند الميقات.

• ثم يستقبل القبلة قائماً، ثم يلبي بالعمرة، يقول: «لبيك اللهم بعمرة»، ويقول: «اللهم هذه عمرة لا رياء فيها ولا سُمْعَة»، ثم يقول – إن خشي أن يمنعه مانع من إتمام الحج –: «اللهم مَحِلِّي حيث حبستني»، ثم يلبي فيقول: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك»[1]، يرفع صوته بها، قدر الاستطاعة[2]، ويستمر بالتلبية حتى يرى الحرم المكي وبيوت مكة، وعندئذٍ يمسك عن التلبية.

• ولكن إذا لبَّى حَرُمَ عليه أن يلبس المخيط، كالقميص والسراويل والجوربين...، وكذلك لا يغطي رأسه بأي شيء، وعلى المرأة أن لا تلبس القُفازين ولا تتنقب، ولكن إن أرادت أن تغطي فعليها أن تلقي على رأسها شيئاً كالخمار...، وتسدله على وجهها، ولا يحل قص الشعر، وتقليم الأظافر، ومس الطيب، والجماع، وعقد النكاح، والصيد والإعانة عليه، وقطع الشجر.

• ويستحب قبل دخول مكة الاغتسال، والدخول فيها نهاراً – إن تيسر ذلك –.

• فإذا وصل إلى المسجد الحرام؛ فليفعل كما يفعل عند دخول أي مسجد، من تقديم الرجل اليمنى والدعاء: «اللهم صَلِّ وسلم على محمد، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» أو غير هذا من الأدعية.

• فإذا رأى الكعبة فليدعُ بما شاء، أو ليقل كما كان عمر بن الخطاب رضي الله

---

(١) ويجوز الزيادة على ألفاظ التلبية، كقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، لبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك.

(٢) النساء كرجال في التلبية ورفع الصوت إلا أن يخشى الفتنة، فتخفض من صوتها.

عنه يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام، فَحَيِّنا ربنا بالسلام» رافعاً يديه في ذلك.

• ثم يتوجه إلى الحجر الأسود، فيستقبله، ويقول: «بسم الله والله أكبر» ثم يستلمه بيده، ويقبله بفمه، ويسجد عليه – أيضاً –، فإن لم يستطع فليستلمه[1] بيده، ثم يقبل يده، فإن لم يستطع أشار إليه بيده فقط، يفعل ذلك في كل طواف.

• ثم يبدأ بالطواف حول الكعبة جاعلاً الكعبة عن يساره، يبدأ من الحجر الأسود وينتهي عنده، ويَعُدّ ذلك شوطاً، يفعل ذلك سبع مرات، وفي الثلاثة الأولى يرمل[2] وفي الأربعة الباقية يمشي.

والرَّمَل يكون فقط في طواف القدوم، وأما غيره فيمشي في السبعة كلها.

• ويكون الرجل مُضْطَبِعاً[3] في الطواف كله، لا قبله ولا بعده.

• ويستلم الركن اليماني في كل طواف، ولا يقبله، ولا يقبل يده، وإن لم يستطع استلامه، فلا يشر إليه.

• ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[4].

---

(١) الاستلام: هو المسح باليد.

(٢) أي: المشيء سريعاً، وذلك للرجال فقط.

(٣) الاضطباع: هو إدخال الرداء من تحت الإبط الأيمن، ووضع طرفه على يساره مظهراً منكبه الأيمن، مغطياً الأيسر.

(٤) سورة البقرة:٢٠١.

- ويستحب التزام ما بين الحجر الأسود والباب؛ فيضع عليها صدره ووجهه وذراعيه وكَفَّيه ويدعو بما شاء.
- والطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحل فيه النطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير، وليس له ذكر خاص به، فمن شاء ذكر الله تعالى تالياً قرآناً أو مما ورد من الأذكار والأدعية.
- وإذا انتهى من الشوط السابع غطى كتفه الأيمن والأيسر، وتوجه إلى مقام إبراهيم، تالياً قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[1].
- ويجعل المقام بينه وبين الكعبة، ويصلي عنده ركعتين، ويقرأ في الأولى: بالفاتحة، وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية: بالفاتحة، وقل هو الله أحد.
- وبعد الصلاة يذهب إلى ماء زمزم، فيشرب منه، ويصب على رأسه.
- ثم يرجع إلى الحجر الأسود، فيستلمه، فإن لم يستطع أشار إليه.
- ثم يتوجه إلى المسعى؛ ليسعى بين الصفا والمروة، ويكون البدء من الصفا، فإذا قرب من الصفا، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[2]، ويقول: «نبدأ بما بدأ الله به»[3]، ثم يرتقي عليه – أي: الصفا – حتى

---

(١) سورة البقرة:١٢٥.

(٢) سورة البقرة:٢٥٨.

(٣) هذه العبارة يقولها فقط في أول ارتقاء على الصفا.

يرى الكعبة، فيستقبلها، ويقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده – يقولها ثلاثاً –» ثم يدعو بما شاء.

- ثم ينزل ليسعى بين الصفا والمروة، يمشي حتى إلى العلم الأخضر، ثم يسعى سعياً شديداً، حتى يصل إلى العلم الأخضر الآخر،ثم يمشي مشياً عادياً حتى يصل إلى المروة، ويفعل فيها ما فعل على الصفا من استقبال الكعبة، وتكبير، وتوحيد، ودعاء، ويَعُدّ ذلك شوطاً، ثم يعود إلى الصفا فاعلاً ما فعله في الشوط الأول...، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط، آخرها عند المروة، ويدعو بما شاء حين ذلك....
- فإذا انتهى من الشوط السابع حلق شعر رأسه – وهو الأفضل–، أو قصره، وأما المرأة فتقصر من شعرها قدر أُنملة.
- وبهذا تنتهي أعمال العمرة، ويحل له ما حرم عليه.
- ثم يبقى منتظراً [(١)] إلى يوم الثامن من ذي الحجة، ويسمى يوم التروية[(٢)].
- في صبيحة اليوم الثامن؛ يستحب أن يغتسل ويتنظف ويتطيب في جسده لا

---

(١) ومكثراً من الأعمال الصالحة، وليكن حريصاً على الوقت، ولا يضيعه بالأسواق والمجالس التي تبعد عن ذكر الله تعالى، وليتذكر دائماً أنه جاء للعبادة، ولم يأت للتسوق ولتضييع الوقت.

(٢) سمي بيوم التروية؛ لأن الناس كانوا يتروون فيه من الماء؛ أي: يحملونه معهم من مكة إلى عرفات ليستعملوه للشرب وغيره.

في ثيابه، ويلبس الإزار والرداء الأبيضين – مغطياً كتفيه–، أما المرأة فتبقى كما هي في لباسها الشرعي، غير أنها لا تلبس القفازين ولا النقاب، إلا أنها تستر وجهها بالسدل.

• ثم يُحْرِم بالحج من المكان الذي هو فيه، قائلاً: «لبيك اللهم بحجة»، وإن خشي أن يمنعه مانع من إتمام الحج اشترط بقوله: «اللهم مَحِلِّي حيث حبستني»، ثم يكثر من التلبية: «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك».

• ثم يذهب إلى مِنَى وهو يلبي، فيصلي فيها الظهر والعصر والمغرب والعشاء، ويبيت فيها، حتى يصلي الفجر؛ يصلي كل صلاة في وقتها، ويقصر الرباعية، ولا يجمع بين الصلوات[1].

• وإذا طلعت شمس اليوم التاسع من ذي الحجة -وهو يوم عرفة-، ذهب إلى عرفات، وهو يلبي ويكبر.

• وقبل الوصول إلى عرفات يمر بنمرة – وهي ليست من عرفات–.

• فإذا زالت الشمس انتقل إلى عُرَنَة – وهي قُبَيل عرفات، وليست منها –، وفيها يجلس لسماع خطبة الإمام أو مَن ينوب عنه، ثم يصلي الإمام بالناس الظهر والعصر قصراً وجمعاً بأذان واحد وإقامتين، ثم يذهب للوقوف بعرفات، ويكثر من قوله: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل

(١) أما النوافل فلم يكن صلى الله عليه وسلم يحافظ على شيء منها في السفر إلا الوتر وسنة الفجر.

شيء قدير» ويجتهد في الدعاء والذكر والتلبية، ويستمر على ذلك حتى تغرب الشمس.

• وبعد غروب الشمس يذهب إلى مزدلفة، وعليه السكينة والهدوء، من غير مزاحمة ولا مدافعة، ويكثر من التلبية في طريقه.

• وحين يصل إلى مزدلفة يصلي المغرب ثلاثاً، والعشاء ركعتين جمعاً، بأذان واحد وإقامتين.

• ثم يبيت[1] في مزدلفة حتى يطلع الفجر، فيصلي الفجر في أول وقته.

• وبعد صلاة فجر اليوم العاشر من ذي الحجة - وهو يوم العيد ويوم النحر -، يذهب إلى المشعر الحرام، وهو جبل في مزدلفة فيصعد عليه، ويكثر من الذكر والدعاء إلى أن ينتشر النور.

• ثم يذهب قبل طلوع الشمس إلى مِنَى مُلبياً وعليه السكينة.

• وإذا وصل وادي مُحَسِّر أسرع في المشي.

• ويلتقط سبع حصيات؛ كل حصاة في حجم الحمصة تقريباً، يأخذها من مزدلفة أو من منى حسب ما تيسر له.

• فإذا وصل إلى جمرة العقبة يستقبل الجمرة جاعلاً مكة عن يساره، ومِنَى عن يمينه، فيرمي الحصيات؛ واحدة بعد الأخرى، يكبر مع كل حصاة[2]، ويكون

(١) يجوز للضعفة أن يغادروا مزدلفة إلى مِنَى إذا مضى نصف الليل.

(٢) لا بد من وقوع الحصى في الحوض، أما إذا لم تقع في الحوض لم يجزئ وعليه أن يرمي مكان التي لم تقع في الحوض حصاة أخرى.

ذلك بعد طلوع الشمس[1].

● فإذا انتهى من الرمي انقطع عن التلبية.

● ثم يذبح أو ينحر هديه.

● ثم يحلق أو يقصر، والحلق أفضل.

● ثم يتحلل من جميع المحظورات إلا النساء، ويسمى التحلل الأول.

● ووقت الذبح أو النحر، من بعد رمي جمرة العقبة إلى غروب شمس اليوم الثالث من أيام التشريق، والأفضل التعجيل بالذبح ويكون الذبح في المنحر من منى، أو أي مكان من منى أو مكة، وعليه أن يذبح بيده إن تيسر ذلك، وإلاّ أناب عنه غيره، ويقول عند الذبح: «بسم الله، والله أكبر، اللهم إن هذا منك ولك، اللهم تقبل مني»، وله أن يأكل منها، ويتزود، ويطعم الفقراء.

● ومن لم يستطع الذبح فعليه أن يصوم ثلاثة أيام في الحج، ولا بأس أن يصومها أيام التشريق الثلاثة، ويصوم سبعة أيام إذا رجع إلى أهله.

● ثم يتوجه إلى مكة بثيابه المعتادة ليطوف طواف الإفاضة، ويفعل في هذا الطواف كما فعل في طواف العمرة.

● ثم يصلي ركعتين عند المقام أو بقربه، وإن لم يتيسر، فليصلي في أي مكان في الحرم.

● ثم يذهب إلى ماء زمزم، فيشرب منها، ويصب على رأسه، ثم يسعى بين

---

(١) وكذلك للضعفة والنساء لا يرمون إلا بعد طلوع الشمس.

تنبيه: يجوز الرمي بعد الزوال ولو إلى الليل، إذا وجد حرجاً في الرمي قبل الزوال.

الصفا والمروة، كما تقدم في صفة العمرة، وبعد الانتهاء من هذا السعي، يحل له كل شيء حرم عليه حتى النساء، ويُسمى التحلل الثاني.

● ثم يرجع إلى مِنَى فيمكث فيها أيام التشريق الثلاثة[1] بلياليهن، وهو الأفضل، وإذا تعجل أقام فيها يومين بليلتيهما، وعليه أن يغادر منى قبل غروب الشمس اليوم الثاني، أما إذا غربت الشمس وهو في منى فعليه أن يبقى فيها ولا يغادر، فيبات ويرمي مع الناس في اليوم الثالث عشر.

● ورمي الجمرات يكون أيام التشريق الثلاث، أو يومين لمن تعجل، ويكون بعد الزوال الشمس، ويكون كالتالي: في يوم الحادي عشر يبدأ برمي الجمرات الثلاث بعد الزوال – أي: بعد الظهر –، مبتدأ بالجمرة الصغرى، فيرميها بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، وإذا فرغ من رميها يتقدم قليلاً، ويجعلها عن يساره، ويستقبل القبلة، ويرفع يديه، ويكثر من الدعاء، ثم يرمي الجمرة الوسطى كذلك، بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، وإذا فرغ من الرمي، يتقدم قليلاً، ويجعلها عن يمينه، ويستقبل القبلة، ويرفع يديه مكثراً من الدعاء، ثم يرمي الجمرة الكبرى بسبع حصيات، يكبر مع كل حصاة، فإذا فرغ غادر المكان ولا يقف.

● ويفعل في اليوم الثاني عشر وفي اليوم الثالث عشر مثل ما فعل في اليوم الأول وهو الحادي عشر، وإذا انتهى من الرمي في اليوم الثالث أو في اليوم الثاني

---

(١) وهم الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر من ذي الحجة.

لمن تعجل، فقد أنهى مناسك الحج، فليذهب إلى مكة، ويقيم فيها ما شاء أن يقيم، ويحرص على الأعمال الصالحة.

- فإذا عزم على مغادرة مكة، فعليه أن يطوف بالبيت طواف الوداع سبع أشواط على الصفة التي سبق ذكرها[1].

* * *

(١) لقد نظمتُ أهمَّ مسائل الحج ليسهل حفظها لمن أراد؛ فقلتُ:

أَبْدَأُ بِسْمِ اللهِ ثُمَّ حَمْدِيْ	ثمَّ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَاةُ الصَّمَدِ
وَبَعْدُ؛ ذَا بَيَانُ رُكْنِ الحَجِّ	بِأَوْجَزِ القَوْلِ وَدُوْنِ لَجِّ
فَفَرْضُهُ فِي عَامِ تِسْعٍ قَدْ وَرَدْ	وَمَرَّةً فِي العُمْرِ فَوْرَاً ذَا أَسَدْ
وَصِفَةُ الحَجِّ هِيَ التَّمَتُّعُ	قِرَانٌ اِفْرَادٌ فَعُوا وَاتَّبِعُوا
أَفْضَلُهَا تَمَتُّعٌ وَهْيَ الَّتِيْ	الاحْرَامُ مِنْ مِيْقَاتِكَ بِعُمْرَةِ
وثَامِنُ الأَيَّامِ مِنْ ذِي الحِجَّهْ	وَفِي ضُحَى لَبَّيْكَ رَبِّي حَجَّهْ
شرُوطُهُ أَوَّلُهَا الإِسْلَامُ	ثُمَّ البُلُوْغُ العَقْلُ يَا هُمَامُ
حُرِّيَّةٌ وَمَحْرَمٌ لِنِسْوَةِ	وَأَيْضَاً اسْتِطَاعَةٌ يَا إِخْوَتِيْ
أَرْكَانُهُ النِّيَّةُ وَالوُقُوْفُ	فِي عَرَفَاتٍ إِنَّهُ مَعْرُوْفُ
طَوَافُ فَيْضٍ سَبْعَةً فِي الكَعْبَةِ	وَسَعْيُنَا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ
وَوَاجِبَاتُهُ هِيَ الإِحْرَامُ مِنْ	مُعْتَبَرِ المِيْقَاتِ عِنْدَهُ زُكِنْ
وَأَيْضَاً المَبِيْتُ فِي مُزْدَلِفَهْ	أَوْ مُعْظَمَ اللَّيْلِ لِمَنْ قَدْ ضَعُفَهْ
رَمْيُ الجِمَارِ الحَلْقُ أَوْ تَقْصِيْرُ	وَلِلنِّسَا التَّقْصِيْرُ جَا يَسِيْرُ
ثُمَّ المَبِيْتُ فِي مِنَى لَيَالِيْ	أَيَّامِ تَشْرِيْقٍ، ذَوِي الإِفْضَالِ
وأَيْضَاً الهَدْيُ لِمَنْ تَيَسَّرَا	مَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِ صَوْمٌ أُجْبِرَا =

=

ثُـمَّ الطَّـوَافُ لِلـوَدَاعِ مُعْتَـبَرْ ... لِغَـيْرِ أَهْـلِ مَكَّـةَ فَـعِ الخَـبَرْ

وَكُـــلُّ مَـــا لَمْ أُوْرِدَنَّ ذِكْــرَهُ ... فَهْـوَ إِذَنْ مِـنْ سُـنَنٍ عِ أَمْـرَهُ

وَاعْلَـمْ بِـأَنَّ الـرُّكْنَ إِنْ تَرَكْتَـا ... فَلَـمْ يَـتِمَّ الحَـجَّ حَتَّـى يُـأْتَى

وَالوَاجِبَـاتُ إِنْ تَرَكْـتَ فَـاجْبُرِ ... حَجَّـكَ بالـدِّمَاءِ ذَا فَـاعْتَبِرِ

وَإِنْ تَرَكْـتَ سُـنَّةً فَاسْـتَغْفِرِ ... اللهَ لَا شَيْءَ عَلَيْـكَ حَـاذِرِ

ثُمَّ احْذَرَنَّ مِنْ صُنُوْفِ مَا حُظِرْ ... هِيْ قَصُّ شَعْرٍ مُطْلَقَاً ذَا قَدْ ذُكِرْ

لُـبْسُ المَخِـيْطِ ثُـمَّ قَلْـمُ الظُّفْـرِ ... تَطَيُّـبٌ غِطَـاءُ رَأْسٍ فَـادْرِ

ثـم النِّقَـابُ قُفَّـازَيْنِ لِلنِّـسَا ... بِالسَّدْلِ سَتْرُ وَجْهِهَا قَدْ أُسِّسَا

وَفَـاعِلَنَّ ذِي الأُمُـوْرِ خُـيِّرَا ... بِفِعْـلِ وَاحِـدٍ عَلَيْـهِ أُجْـبِرَا

هِـيْ ذَبْـحُ شَـاةٍ أَوْ صِـيَامُ أَيَّـامْ ... ثَلَاثَـةٍ، إِطْعَـامُ سِـتٍّ يَـا هُمَـامْ

مِـنَ المَسَاكِيْنِ لِكُـلٍّ نِـصْفُ ... صَـاعِ طَعَـامٍ وَجْبَـةٌ قَـدْ عَرَّفُـوا

وَقَتْـلُ صَـيْدِ الـبَرِّ يَفْتَدِيْـهِ ... بِالمِثْـلِ بِـالجَزَا يَحْكُـمُ فِيْـهِ

عَـدْلَانِ، أَيْـضَاً النِّكَـاحُ قَبْـلُ ... أَوَّلِ حِـلٍّ فَعَلَيْـهِ فِعْـلُ

نَحْـرٍ لِبَدْنَـةٍ، وَبَعْـدُ الثَّـانِيْ ... فَفِدْيَـةُ الأَذَى هُمَـا فِعْـلَانِ

مُقَـدِمَاتٌ لِلْجِـمَاعِ إِنْ فَعَـلْ ... كَـفَّ وَتَـابَ، وعَلَيْـهِ إِن نَـزَلْ

منِيُّـهُ الـدِّمَاءُ، ثُـمَّ باطِـلُ ... عَقْـدُ النِّكَـاحِ آثِـمٌ يَـا فَاعِـلُ

وَفَاعِـلُ المَحْظُـوْرِ كَـانَ جَاهِلَا ... أَوْ نَاسِـيَاً أَوْ مُكْرَهَـاً فَـلَا وَلَا

شَيْءٌ عَلَيْهِ الـتَّرْكُ حِـيْنَ القُـدْرَةِ ... وَفِي الخِتَـامِ أَنْـصَحَنَّ إِخْـوَتِيْ

أَنْ يَقْرَؤُوا الكُتُبَ الَّتِي تَوَسَّعَتْ ... وَذَكَـرَتْ أَحْكَامَـهُ وَفَـصَّلَتْ

والحَمْـدُ للإِلَـهِ فِي كُـلِّ عَمَـلْ ... فِي كُـلِّ أَمْـرٍ لَا أَكَـلُّ لَا أَمَـلْ

البيان المختصر لأعمال العمرة[1]

* عند الوصول إلى الميقات[2] يستحب الاغتسال والتطيب في الجسد دون لباس الإحرام.

* ثم يلبس ملابس الإحرام [3]؛ أي: الرجل، أما المرأة فتبقى كما هي في لباسها الشرعي.

* ويستحب لمن كان ميقاته ذا الحليفة أن يصلي فيها، لا لخصوص الإحرام، وإنما لخصوص المكان وبركته.

* ثم يستقبل القبلة – قائماً–، ثم يلبي بالعمرة؛ يقول: «لبيك[4] اللهم بعمرة»، ويقول: «اللهم هذه عمرة لا رياء فيها ولا سُمْعَة»، ثم يقول إن خشي أن يمنعه مانع من إتمام العمرة: «اللهم مَحِلِّي حيث حبستني»، ثم يلبي فيقول: «لبيك

---

(١) أفردت أعمال العمرة هنا –وقد سبق ذكرها في البيان المختصر لأعمال الحج–؛ ليسهل الوصول إليها والإفادة منها، لمن أراد أداء مناسك العمرة فقط.

(٢) المواقيت خمسة: ١– ميقات أهل المدينة (ذو الحليفة)، ٢– ميقات أهل الشام (الجُحفة)، وهي اليوم خراب، وصار الناس يحرمون من رابغ، مكان قبلها بيسير. ٣– ميقات أهل نجد (قرن المنازل)، ويسمى اليوم (السيل)، ٤– ميقات أهل اليمن (يلملم)، ٥– ميقات أهل العراق (ذات عرق)، وهذه المواقيت لأهلها، ولمن مرّ بها من غير أهلها.

(٣) وله أن يلبس ملابس الإحرام في بيته، ولكنه لا يحرم إلاّ عند الميقات أو عند محاذاته.

(٤) قوله: «لبيك»؛ أي أنا مجيب لك مقيم على طاعتك.

اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»[1]، يرفع صوته بها، بقدر الاستطاعة[2]، ويستمر بالتلبية حتى يرى الحرم المكي وبيوت مكة، عندئذٍ يمسك عن التلبية.

* ولكن إذا لَبَّى حرم عليه أن يلبس المَخِيط؛ كالقميص، والسراويل والجوربين...، وكذلك لا يغطي رأسه بأي شيء، وعلى المرأة أن لا تلبس القُفَّازين، ولا تتنقب، ولكن إذا أرادت أن تغطي وجهها فعليها أن تلقي على رأسها شيئاً كالخمار...، وتسدله على وجهها، ولا يحل قص الشعر، وتقليم الأظافر، ومس الطيب، والجماع، وعقد النكاح، والصيد والإعانة عليه، وقطع الشجر.

* ويستحب قبل دخول مكة الاغتسال، والدخول فيها نهاراً – إن تيسر ذلك–.

* فإذا وصل المسجد الحرام، فليفعل كما يفعل عند دخول أي مسجد، من تقديم الرجل اليمنى والدعاء: «اللهم صَلِّ وسلم على محمد، اللهم افتح لي أبواب رحمتك» أو غير هذا من الأدعية.

* فإذا رأى الكعبة فليدعُ بما شاء، أو ليقل كما كان عمر بن الخطاب رضي

---

(١) ويجوز الزيادة على ألفاظ التلبية؛ كقول بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: لبيك ذا المعارج، لبيك ذا الفواضل، ولبيك وسعديك، والخير بيديك، والرغباء إليك والعمل...، أو خلط التهليل مع التلبية.

(٢) والنساء كالرجال في التلبية ورفع الصوت إلا أن يخشى الفتنة، فتخفض من صوتها.

الله عنه يقول: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، فَحَيِّنَا رَبَّنا بالسلام»، رافعاً يديه في ذلك.

* ثم يتوجه إلى الحجر الأسود، فيستقبله، ويقول: «بسم الله، والله أكبر»، ثم يستلمه بيده، ويقبله بفمه، ويسجد عليه – أيضاً –، فإن لم يستطع فليستلمه[1] بيده، ثم يقبل يده، فإن لم يستطع أشار إليه بيده فقط – يفعل ذلك في كل طواف–.

* ثم يبدأ بالطواف جاعلاً الكعبة عن يساره، ويكون طوافه من وراء الحِجْر، يبدأ من الحَجَر، وينتهي عند الحَجَر، ويَعُدُّ ذلك شوطاً، يفعل ذلك سبع مرات، في الثلاثة الأولى يرمل [2]، وفي الأربعة الباقية يمشي.

* ويكون الرجل مُضْطَبِعَاً[3] في طوافه كله، لا قبله ولا بعده.

* ويستلم الركن اليماني في كل طواف، ولا يقبله، وإن لم يستطع استلامه فلا يشر إليه.

* ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا

---

(١) والاستلام هو المسح باليد.

(٢) أي: المشيء سريعاً، والرمل يكون فقط في طواف العمرة، وأما غيره فيمشي في السبعة كلها.

(٣) الاضطباع: هو إدخال الرداء من تحت الإبط الأيمن، ووضع طرفه على يساره، مظهراً منكبه الأيمن، مغطياً الأيسر.

حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

* ويستحب إلْتزام ما بين الحجر الأسود والباب، فيضع عليه صدره ووجهه وذراعيه وكَفَّيْه ويدعو بما شاء.

* والطواف بالبيت صلاة، ولكن الله أحل فيه النطق، فمن نطق فلا ينطق إلا بخير، وليس له ذكر خاص به، فمن شاء ذكر الله تعالى تالياً قرآناً أو مما ورد من الأذكار والأدعية.

* وإذا انتهى من الشوط السابع غطى كتفه الأيمن والأيسر، وتوجه إلى مقام إبراهيم، تالياً قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾[2].

* ويجعل المقام بينه وبين الكعبة، ويصلي عنده ركعتين، يقرأ في الأولى: بالفاتحة، وقل يا أيها الكافرون، وفي الثانية: بالفاتحة، وقل هو الله أحد.

* وبعد الصلاة يذهب إلى ماء زمزم، فيشرب منه، ويصب على رأسه.

* ثم يرجع إلى الحجر الأسود، فيستلمه، فإن لم يستطع أشار إليه.

* ثم يتوجه إلى المسعى؛ ليسعى بين الصفا والمروة، ويكون البدء من الصفا، فإذا قرب من الصفا، قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا

---

(١) سورة البقرة:٢٠١.

(٢) سورة البقرة:١٢٥.

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ويقول: «نبدأ بما بدأ الله به»[2]، ثم يرتقي عليه – أي: الصفا – حتى يرى الكعبة، فيستقبلها، ويقول: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحي ويميت، وهو على كل شيء قدير، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنجز وعده، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده – يقولها ثلاثاً –»، ثم يدعو بما شاء.

* ثم ينزل ليسعى بين الصفا والمروة، يمشي حتى إلى العلم الأخضر، ثم يسعى سعياً شديداً، حتى يصل إلى العلم الأخضر الآخر،ثم يمشي مشياً عادياً، حتى يصل إلى المروة، ويفعل فيها ما فعل على الصفا من استقبال الكعبة، وتكبير، وتوحيد، ودعاء، ويَعُدّ ذلك شوطاً، ثم يعود إلى الصفا فاعلاً ما فعله في الشوط الأول...، وهكذا حتى يتم سبعة أشواط، آخرها عند المروة، ويدعو بما شاء حين ذلك....

* فإذا انتهى من الشوط السابع حلق شعر رأسه –وهو الأفضل–، أو قصره، وأما المرأة فتقصر من شعرها قدر أُنملة.

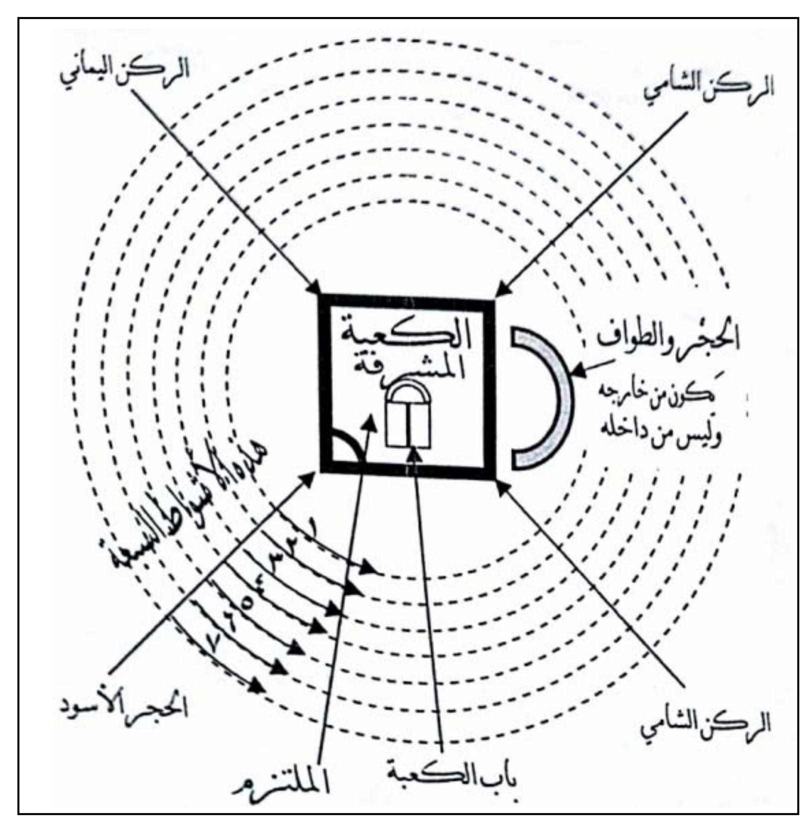
* وبهذا تنتهي أعمال العمرة، ويحل للمعتمر ما حرم عليه.

* ومن أراد الرحيل من مكة، فليطف بالبيت سبعة أشواط – ويسمى طواف الوداع –، بملابسه المعتادة، ثم يصلي خلف مقام إبراهيم ركعتين.

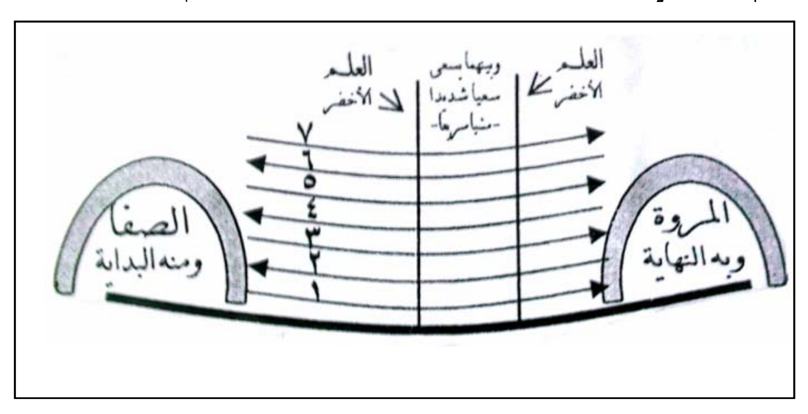
* * *

(١) سورة البقرة:١٨٥.

(٢) هذه العبارة يقولها فقط في أول ارتقاء على الصفا.



رَسْمٌ توضيحي لكيفية الطواف حول الكعبة، وبيان أغلب معالم الكعبة المشرفة



رَسْمٌ توضيحي لكيفية السعي بين الصفا والمروة

حتى لا ننسى المسجد الأقصى[1] - بيت المَقْدِس-

تنبيه: قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «أما زيارة بيت المقدس، فمشروعة في جميع الأوقات...، وليس السفر إليه مع الحج قُرْبة، وقول القائل: قَدّس الله حجك، قول باطل لا أصل له، كما يُرْوَى: «مَن زارني وزار أبي – أي: إبراهيم عليه السلام – في عام واحد ضمنت له الجنة»، فإن هذه كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث»[2].

إن زيارة المدينة المقدسة، والصلاة في المسجد الأقصى، لهو من أماني كل مسلم، لما جاء في الكتاب والسنة عنهما من فضائل.

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[3].

وقال الله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ﴾[4].

---

(١) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: «قيل له: الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة، وقيل: لأنه لم يكن وراءه موضع عبادة، وقيل: لبعده عن الأقذار والخبائث، والمقدس المطهر عن ذلك». انظر «الفتح» (٦/ ٤٠٨).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٦/ ١٧).

(٣) سورة الإسراء:١.

(٤) سورة الأنبياء:٨١.

وقال الله تعالى حاكياً ما قاله موسى عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِى كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾[1].

وقال الله تعالى عن نجاة إبراهيم ولوط عليهما السلام: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾[2].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد؛ المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»[3].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس[4]، سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حُكْمَه[5]، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألاّ يأتي هذا المسجد أحد، لا يريد إلاَّ الصلاة فيه، إلاّ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أُمُّه»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما اثنتان فقد أُعْطِيَهُمَا، وأرجو أن يكونَ قد أُعْطِيَ الثالثة»[6].

---

(١) سورة المائدة:٢١.

(٢) سورة الأنبياء:٧١.

(٣) رواه البخاري برقم (١١٨٩)، ومسلم برقم (١٣٩٧).

(٤) أي: أعاد بناءه؛ لأن المسجد الأقصى بُنِيَ قبله بزمن طويل.

(٥) أي: يوافق حكم الله تعالى؛ والمراد التوفيق للصواب الذي يرضاه الله تعالى في الاجتهاد والفصل في الخصومات.

(٦) رواه النسائي (٢/ ٢٤)، وابن ماجة برقم (١٤٠٨)، وصححه الألباني، انظر «صحيح=

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس؟، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولَنِعْمَ المُصَلَّى، ولَيُوشِكَنَّ لَأن يكون للرجل مثل سِيَة قوسه[1] من الأرض، حيث يرى بيت المقدس خيراً له من الدنيا وما فيها»[2].

وهو قبلة المسلمين الأولى:

فعن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، ثم صُرِفْنَا إلى القِبْلَة[3].

=الجامع» برقم (٢٠٩٠).

(١) أي: ما عطف من طرفيها.

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» برقم (٨٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٠٩)، وصححه الألباني، انظر «الصحيحة» (٦/ ٩٥٤).

تنبيه: أما حديث: صلاة في المسجد الحرام مئة ألف صلاة، وصلاة في مسجدي ألف صلاة، وفي بيت المقدس خمس مئة صلاة؛ رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٤٨٤)، وقال الألباني رحمه الله تعالى ضعيف جداً، انظر «ضعيف الجامع» برقم (٣٥٢١)، إذاً فالصحيح المحفوظ: أن الصلاة في المسجد الأقصى تعادل خمسين ومئتي صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام والمسجد النبوي.

(٣) رواه البخاري برقم (٤٠)، ومسلم برقم (٥٢٥).

■ أسماء المدينة المقدسة :

١ – القدس. ٢ – مدينة السلام. ٣ – الأرض المقدسة.

ولها أيضاً أسماء قديمة عِبْرِيّة، كـ «يبوس، وإيلياء، أورشليم... وغيرها».

■ مساحة المدينة المقدسة :

للمدينة سُور يحيط بها إحاطة كاملة، يبلغ طوله أربع كيلومترات، ومساحتها داخل السور (٨٦٨) دونماً[1].

■ أبواب المدينة المقدسة :

«لها سبعة أبواب، بالجهة الغربية؛ واحد منها مشهور بباب الخليل، وبالجهة القبلية بابان؛ الأول يسمى بباب داود، والثاني يسمى بباب المغاربة، وبالجهة الشرقية باب واحد؛ يسمى بباب الأسباط، وبالجهة الشمالية ثلاثة أبواب؛ الأول يسمى بباب الساهرة،والثاني يسمى بباب النصر وهو المشهور بباب العامود، والثالث يسمى بباب الجديد»[2].

■ موقع المسجد الأقصى - بيت المقدس -:

موقع المسجد الأقصى في المدينة المقدسة: هو ملاصقة سور المدينة الشرقي.

---

(١) الدونم يبلغ (١٠٠٠) متر مربع.

(٢) انظر «مناسك القدس الشريف» ليحيى عمر الدنف الأنصاري (ص٢٨).

■ مساحة المسجد الأقصى :

«يتكون المسجد الأقصى من عِدَّة مَبَانٍ، موزعة على النحو التالي: البناء الرئيس للمسجد (٣٤٩٠) متر مربع، جامع عمر (١٢٥) متر مربع، محراب زكريا (٢٢) متر مربع، مقام الأربعين (٦٦)متر مربع، الرواق الخارجي (٢٩٥) متر مربع، جامع النساء (٥٥٩) متر مربع، إلا أن جامع النساء حوّل الآن إلى كلية دعوة»[1].

■ أبواب المسجد الأقصى:

«له عشرة أبواب؛ بالجهة الغربية سبعة أبواب على صف واحد، وبالجهة الشماليه ثلاثة أبواب».

- في الجهة الشمالية:

١ – باب الأسباط. ٢ – باب الحِطّة. ٣ – باب شرف الأنبياء.

- في الجهة الغربية:

١ – باب الغَوَانمة. ٢ – باب الناظر. ٣ – باب الحديد. ٤– باب القَطَّانين. ٥ – باب المطهرة. ٦ – باب السلسلة. ٧ – باب المغاربة.

تنبيه: يوجد في الجهة الجنوبية وكذا الشرقية أبواب مغلقة.

---

(١) انظر «بيت المقدس في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة» لعصام هادي (ص٢١).

الأبواب المغلقة؛ هي:

١ – باب السكينة. ٢ – الباب المنفرد. ٣ – الباب المزدوج. ٤ –الباب الثلاثي. ٥ – باب البُرَاق. ٦ – باب الرحمة. ٧ – باب التوبة[١].

■ قبة الصخرة :

«الصخرة هي إحدى صخور مرتفعات القدس، وتقع وسط فناء المسجد الأقصى، ويبلغ طولها (١٨) متراً، وعرضها (١٣) متراً تقريباً، ويتجه جانبها المنحدر إلى الشرق، بينما يتجه جانبها المستقيم المرتفع إلى الغرب، وترتفع بعض نواحيها عن سطح الأرض بحوالي متر، وشكلها غير منتظم، أما محيطها فيبلغ عشرة أمتار،ومِن أسفلها فجوة هي بقية كهف، عمقه أكثر من متر ونصف، وتظهر الصخرة فوقه وكأنها معلقة بين السماء والأرض، وهي محاطة بسياج من الخشب المنقوش»[٢].

والذي بَنَى القُبَّة على الصخرة هو عبد الملك بن مروان سنة (٧٢هـ).

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «إن صخرة بيت المقدس لما فُرِغَ من بنائها، لم يكن لها نظير على وجه الأرض بهجة ومنظراً»[٣].

---

(١) انظر «مناسك القدس» (ص٢٩)، و«بيت المقدس في القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة» (ص١٩-٢٩).

(٢) انظر «صخرة القدس في ضوء العقيدة الإسلامية» لناصر بن عبد الرحمن الجديع.

(٣) انظر «البداية والنهاية» لابن كثير (٨/ ٢٨١).

تنبيه: لم يصح في فضل الصخرة حديث ولا أثر، ولم يعرج منها النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما هي واقعة ضمن حدود المسجد الأقصى، فتسري عليها أحكامه، كمضاعفة الصلاة....

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «كل حديث في الصخرة فهو كذب مفترى، وأرفع شيء في الصخرة أنها كانت قبلة اليهود، وأبدل الله بها هذه الأمة المحمدية، الكعبة البيت الحرام.

ولما أراد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يَبْنِيَ المسجد الأقصى، استشار الناس: هل يجعله أمام الصخرة أو خلفها؟ فقال له كعب الأحبار: يا أمير المؤمنين، ابْنِهِ خلف الصخرة، فقال: يا ابن اليهودية، خالطتك اليهودية ! بل أبنيه أمام الصخرة، حتى لا يستقبلها المصلون، فبناه حيث هو اليوم»[1].

❊ ❊ ❊

(١) انظر «المنار المنيف في الصحيح والضعيف» (ص٨٧-٨٨) بتصرف.

أسباب الثبات

لقد وجدنا كثيراً من الناس يتعبدون ويجتهدون في طاعة الله تعالى في موسم الحج أو العمرة، ثم إذا انتهوا من أداء المناسك، وعادوا إلى بلدانهم وقومهم، لم يمكثوا طويلاً حتى يعودوا كما كانوا، وما هذا إلا لأنهم لم يأخذوا بالأسباب الصحيحة التي تُعِينُهم على الثبات بما تَحَلُّوا به من صفات طيبة أثناء أدائهم للمناسك.

ولا بد أن نعلم أن على كل مَن أدّى مناسك الحج أو العمرة على وَجْهٍ صحيح، رجاء أن يقبل الله تعالى منه عمله ويغفر له ذنبه؛ أن يداوم على الأعمال الصالحة والأخلاق الحميدة بقدر الاستطاعة.

وإن من الأسباب التي تعين على الثبات والمداومة على الأعمال الصالحة:

- الإيمان بالله تعالى :

قال الله عز وجل: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ ﴾[1].

والإيمان الذي وُعِدَ أهله وأصحابه بالتثبيت؛ هو الذي يرسخ في القلب، وينطق به اللسان، وتصدقه الجوارح والأركان؛ فليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل؛ فالإلتزام الصادق في الظاهر

(١) سورة إبراهيم: ٢٧.

والباطن، هو من أعظم أسباب التثبيت؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾[1].

- **سؤال الله تعالى التثبيت :**

فإن الله هو الذي يثبت ويهدي؛ قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾[2].

فالإلحاح بالدعاء على الله تعالى؛ بأن يربط على قلوبنا ويثبتنا على ديننا، هو من السُّبل النافعة جداً للثبات، وليكن لنا فيمن تقدم من المؤمنين أسوة حسنة؛ فإن من دعائهم: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾[3]، وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[4]، وقد كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «يا مقلب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك»[5].

---

(١) سورة النساء: ٦٦.

(٢) سورة إبراهيم: ٢٧.

(٣) سورة آل عمران: ٨.

(٤) سورة البقرة: ٢٥٠.

(٥) رواه الترمذي برقم (٣٤٤٤)، وصححه الألباني؛ انظر: «الصحيحة» برقم (٢٠٩١).

• **الإقبال على كتاب الله تلاوةً وتدبراً وتعلماً وعملاً:**

فإن الله سبحانه وتعالى أخبر بأنه أنزل هذا الكتاب تثبيتاً للمؤمنين وهداية لهم وبشرى؛ قال الله تعالى: ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾[1].

• **التحلي بالصبر:**

فإنه لن يُحَصّل العبد الخيرات إلا بالصبر، وقد أمر الله تعالى نبيه بالصبر؛ فقال: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ﴾[2].

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما أُعْطِي أحدٌ عطاءً خيراً وأوسع من الصبر»[3]. وما أجمل ما قيل:

إني رأيْتُ وَفِي الأَيَّامِ تَجْرِبَةٌ ... لِلصّبْرِ عاقبةٌ مَحْمُودَةُ الأَثَرِ

وَقَلّ مَنْ جَدَّ فِي أمْرٍ يُحَاوِلُهُ ... واسْتَصْحَبَ الصَّبْرَ إلّا فَازَ بِالظَّفَرِ

• **ترك المعاصي والذنوب صغيرها وكبيرها ظاهرها وباطنها:**

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحقرات الذنوب؛ كقوم نزلوا

---

(١) سورة النحل: ١٠٢.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

(٣) رواه البخاري برقم (١٣٧٦).

بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه»[1].

خَلِّ الذُّنُوبَ صَغِيرَها وكَبِيْرَها ذاك التُّقى
واصْنَعْ كَمَاشٍ فَوْقَ أَرْ ضِ الشَّوْكِ يَحْذَرُ ما يَرَى
لا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إنّ الجِبَالَ مِنَ الحَصَى

- **الرجوع إلى أهل الحق والتقى من العلماء والدعاة:**

فالرجوع إلى العلماء والدعاة الذين هم مفاتيح الخير ومغاليق الشر، قبل اقتراف الشبهات أو الشهوات، هو من أفضل السبل الصحيحة للثبات على الحق؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء، وهم الذين يستطيعون دفع الشبهات والشهوات بما أوتوا من العلم؛ قال ابن القيم رحمه الله حاكياً عن نفسه وأصحابه: «وكنا إذا اشتد بنا الخوف، وساءت بنا الظنون، وضاقت بنا الأرض؛ أتيناه- أي: شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله – فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه، فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحاً وقوة ويقيناً وطمأنينة»[2].

- **نصر دين الله تعالى، ونصر أوليائه المتقين:**

قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[3].

---

(١) رواه أحمد (٥/ ٣٣١)، وصححه الألباني، انظر: «الصحيحة» برقم (٣٨٩)، وقوله «محقرات الذنوب» أي: صغائرها؛ لأن صغارها أسباب تؤدي إلى ارتكاب كبارها.

(٢) انظر: «الوابل الصيب من الكلم الطيب» لابن القيم (ص٦٤).

(٣) سورة محمد: ٧.

ونصر دين الله تعالى وأوليائه يكون بطرائق عديدة لا يحدها حد؛ فالدعوة إلى الله بجميع صورها، وطلب العلم، والعمل بالعلم، وجهاد الكفار والمنافقين، والرد على خصوم الإسلام وكشف مخططاتهم، والبذل في سبيل الله والإنفاق في وجوه البر، والذب عن أهل العلم والدعوة وأهل الخير، كل هذا نصر لدين الله تعالى.

قال ابن القيم رحمه الله:

هَذا ونَصْرُ الدِّين فَرْضٌ لازِمٌ ... لا لِلْكِفَايَةِ بَلْ عَلى الأعْيَانِ

بيَدٍ وإمَّا باللِّسَان فإنْ عَجَزْ ... تَ فَبالتَوجُّهِ والدُّعَا بجِنَانِ

هذه بعض أسباب الثبات على الحق والهدى والتقى والدين، من أخذ بها فقد أخذ بحظ وافر، ووقاه الله تعالى سوء العاقبة والمآل.

* * *

ما تيسر من الدعاء

اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي، وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير، واجعل الموت راحة لي من كل شر.

اللهم إني أسالك العفو والعافية في ديني ودنياي وأهلي ومالي.

اللهم استر عوراتي، وآمن روعاتي.

اللهم احفظني من بين يدي، ومن خلفي، وعن يميني، وعن شمالي، ومن فوقي، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتي.

اللهم عافني في بدني.

اللهم عافني في سمعي.

اللهم عافني في بصري.

اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر ومن عذاب القبر.

اللهم إني أعوذ بك من الهمّ والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، ومن البخل والجبن، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال.

اللهم إني أعوذ بك أن أرد إلى أرذل العمر.

اللهم اهدني لأحسن الأعمال والأخلاق، فإنه لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، فإنه لا يصرف عني سيئها إلا أنت.

اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها.

اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع.

اللهم إني أعوذ بك من دعوة لا يُسْتَجَاب لها.

اللهم إني أسالك فعل الخيرات، وترك المنكرات.

اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، وحب كل عمل يقربني إلى حبك.

اللهم إني أسألك أن ترفع ذكري، وتضع وزري، وتطهر قلبي، وتحصن فرجي، وتغفر لي ذنبي.

اللهم إني أسألك أن تبارك في سمعي، وفي بصري، وفي خَلْقي، وفي خُلقي، وفي روحي، وفي عملي، وفي أهلي، وفي محياي.

اللهم إني أعوذ بك من جَهْد البلاء، وشماتة الأعداء.

اللهم يا مقلب القلوب، ثبت قلبي على دينك.

اللهم أحسن عاقبتي في الأمور كلها، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

اللهم اقسم لي من خشيتك ما تحول به بيني وبين معصيتك، ومن طاعتك ما تبلغني به جنتك، ومن اليقين ما تهون به عليّ مصائب الدنيا.

اللهم متعني بسمعي وبصري وقوتي ما أحييتني، واجعلها الوارث مني، واجعل ثأري على مَن ظلمني، وانصرني على من عاداني، ولا تجعل الدنيا أكبر هَمِّي، ولا مبلغ عِلْمِي، ولا تجعل مصيبتي في ديني، ولا تسلط عليّ بذنوبي من لا يخافك ولا يرحمني.

اللهم إني أسألك الغنيمة من كل بر، والسلامة من كـل شر، والفـوز بالجنـة، والنجاة من النار.

اللهم لا تدع لي ذنباً إلا غفرته، ولا عيباً إلا سترته، ولا هماً إلا فرجته، ولا ديناً إلا قضيته.

اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبـوء لـك بنعمتـك عـليّ وأبـوء بـذنبي فاغفر لي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

* * *

فهرس المحتويات

***